الفصل الثالث

علم الاجتماع وعلم النفس

* حول مفهوم علم النفس وموضوعه •
* علم النفس •• مجالات وميادين •
* اهتمامات مشتركة بين علمى النفس والاجتماع •
* التوجيـــه والقياس الاجتمـــاعى
  بين علم النفس وعلم الاجتماع •
* علم النفس الاجتماعى •• الماهية والموضوع •
* علم الاجتماع النفسى •• اسهامات ورواد •

المبحث الأول

حول مفهوم علم النفس وموضوعه

* تطـور عـلم النفس •
* موضوع عـلم النفس •
* تعـريف عـلم النفس •

* * *

مقـــــــدمة :

لسنا هنا بصدد التأريخ لعلم النفس . ولا بصدد تحديد مراحل نموه وتطوراته المختلفة ، ولسنا كذلك مطالبين فى هذا المجال بالحديث عن المدارس المتنوعة لذلك العـلم •

ولكن يكفينا هنا أن نلقى الضوء على موضوع علم النفس . كعلم يدرس **الانسـان** من خلال العديد من المواقف الخاصة والعامة التى يحياها ذلك الانسان فى المجتمع . كما سنتعرض للحديث عن بعض فنون ذلك العلم ومجالاته المختلفة وكذلك بعض التفريعات التى نتجت عنه لاسـيما فى مجال علم النفس الاجتماعى •

ومن الطبيعى أن يكون ذلك كله بهدف تحديد ما بين علم الاجتماع وعلم النفس من صلات قوية ووثيقة •

*** تطـــور عـلم النفس :**

علم النفس من العلوم التى حظيت باهتمامات كثيرة من حيث منشأه وتطوره ، حيث يرى البعض أن علم النفس من العلوم **الحديثة** التى واكبت

الاهتمام الذى حدث فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، حيث تحول الاهتمام بالانسان من مجرد مادة للتأملات الفلسفية والأحكام القيمية غير الدقيقة ، الى اعتبار الانسان مادة لدراسة علمية ترتكز على اخضاع السلوك الانسانى للعديد من الملاحظات الدقيقة والتجارب المعملية أحيانا •

بينما يرى البعض الآخر أن علم النفس علم **قديم** •• قدم الانسانية ذاتها ، فمنذ أن تحققت ذاتية الانسان نتيجة انفصاله عن بقية السلسلة الحيوانية ، راح ذلك الانسان يبذل محاولة اثر أخرى لسبرغور نفسه ، والكشف عن كل غموض يحيط بكل التصرفات من حوله ، سواء أكانت تلك التصرفات تعود للانسان الباحث نفسه أم تتعلق بالمحيطين به أو المتعاملين معه •

ويعترف **المحبذون** لهذا الرأى الأخير بأن الأمر لا يعدو أن يكون مجرد محاولات فلسفية تفتقد الكثير من المقومات العلمية ، الا أنهم يؤكدون أن التمايز الموجود فى الحضارات الانسانية المتعاقبة انما يعود وبالدرجة الأولى الى التمايز الموجود بين الانسان ذاته سواء من حيث معرفته لنفسه أو للمحيطين به •

وعلى كل فان غالبية علماء النفس تميل الى ترجيح الرأى الثانى ، وترى أنه من الاجحاف أن نؤرخ لعلم النفس مع بداية المحاولات المعملية له فقط ، لا لشىء الا لأن الانسان — كموضوع — قد شغل الفكر الانسانى منذ القدم ، ويرون أن انشغال الانسان بالبحث عن ذاته هو منشأ الحضارات القديمة والحديثة بل والمستقبلية أيضا •

* موضوع علم النفس :

تتراوح اهتمامات على النفس المعاصر ما بين الانسان وسلوكه ، ويلف تلك الاهتمامات سؤال هام يتوقف على الاجابة عليه •• التحديد الدقيق لموضوع علم النفس ، والسؤال المطروح هو :

هل عالم النفس يعنى بالانسان كذات ، بكل ما يحيط بتلك الذات من

مغاليق ، أو أن عالم النفس يهتم **بسلوك** ذلك الانسان ليتعرف على دوافعه واتجاهاته ؟ ! .. سؤال طويل .. لكن يتفرع عنه على كل حل سؤال آخر .. هل يمكن لنا أن نعتبر أن الانسان يتمثل فى سلوكه ، أم أن سلوك الانسان شيء وحقيقته شيء آخر ؟ ! ..

على كل حال .. فان الاجابة على تلك التساؤلات تمثل قطبى الرحى التى تشـــد اهتمامات علمـــاء النفس . بمعنى أن **الزاوية** التى ينظـــر اليها كل عالم من علماء النفس . تمثل فى النهاية رؤيته الخاصة لمـــا يجب أن يكون عليه موضوع علم النفس .

ولعل التعريفات المتعددة التى أعطيت لعلم النفس تلقى مزيدا من الضوء حول هذه النقطة .

* تعريفـــات عـــلم النفس :

قلنا قبلا أن الزاوية التى ينظر اليها كل عالم من علماء النفس الى طبيعة علم النفس ، وكذلك قناعته لمـــا يجب أن يبحث فيه علم النفس ، هى التى تحدد رؤيته لموضوع علم النفس ككل . ويمكن أن يتضح ذلك من خلال **التعريفات** التى سنتعرض اليها هنا على سبيل المثال لا الحصر .

١ ـــ عرفه Wundt عام ١٨٩٢ بأنه العلم « الذى يبحث فى الحياة العقلية الداخلية » أى « العـــلم الذى يبحث المشـــاعر والاحساسات الداخلية » .. [١] .

وقصد « فونت » بهذا التعريف تمييز علم النفس عن العلوم الطبيعية التى تهتم ببحث الخبرات الخارجية المحيطة بالانسان ككائن حى * .

(*) من أبرز اسهامات فونت انه اسس أول معمل لعلم النفس التجريبى بمدينة ليبزج عام ١٨٩٧ ، ولقد زود هذا المعمل بالعديد من الأجهزة والوسائل الخاصة باجراء التجارب على مختلف الحواس السمعية والبصرية . ولقد اعتبر هذا المعمل ثورة فى علم النفس سواء على مستوى النظرية او التطبيق .

٢ — عرف علم النفس بعد ذلك بقليل بأنه « العلم الذى يبحث فى الحياة الشعورية » .. [٢] . ولكن ما لبث هذا التعريف ، والتعريف الذى سبقه أن **رفضا** خاصة من علماء التحليل النفسى باعتبار أن الحياة النفسية تشمل « الشعور واللاشعور معا » ، لذلك فان اعتبار علم النفس هو العلم الذى يبحث فى الشعور فقط .. اعتبار خاطىء خصوصا وأن اللاشعور أقوى أثرا — من وجهة نظر علماء التحليل النفسى وباحثيه — فى حياة الانســـان .

لذلك كان من الضرورى **استكمال** ذلك التعريف الجزئى لعلم النفس باعتباره يبحث فى الشعور فقط ، بتعريف آخر يضفى الشمولية على علم النفس باعتباره العلم « الذى يبحث فى الحياة العقلية الشعورية منهـا واللاشعورية » * .

٣ — وفى عام ١٩٠٨ عرف « مكدوجل » علم النفس بأنه « العلم الايجابى الذى يبحث السلوك العقلى بجميع مظاهره ووسائل عمله » ، أى أنه « العلم الايجابى لدراسة السلوك » .. [٣] .

٤ — ولكن فى عام ١٩١١ قدم Woodworth تعريفا لعلم النفس يقول فيه أنه العلم « الذى يبحث فى نشاط الكائن الحى » .

لكن ما لبث « وود ورث » بعد ذلك بقليل أن قدم **تعريفا** أكثر تفصيلا لعلم النفس حيث قال أن علم النفس هو « علم الدراسة العلمية لنشاط الفرد فى مجموعه كما هو وعلى حقيقته أثناء تعامله — أى الفرد — مع غيره من الأفراد ومع المجتمع ككل » .. [٤] ** .

(*) للاستزادة انظـــر :
الدكتور عبد العزيز القوص — أسس علم النفس — مكتبة النهضة المصرية — ١٩٥٠ — ص ١٠ .

(**) سيغير وود ورث رأيه ويقدم تعريفا آخر عام ١٩٥٢ سنورده بعـد قليل .

٥ — من علماء النفس من يرى أن علم النفس هو « العلم الذى يبحث **دوافع** السلوك ومظاهر الحياة العقلية الشعورية ، ويدرسها دراسة ايجابية موضوعية ، تساعد على افساح المجال للقوى والمواهب النفسية لكى تنمو وتستغل فيما يساعد على حسن التكيف مع البيئة ، وما يؤدى الى تحسين الصحة النفسية للأفراد والجماعات » (٥) .

٦ — ومنهم كذلك من يرى أن علم النفس هو « العلم الذى يدرس الانسان من حيث هو **كائن** حى يرغب ، يحس ، يدرك ، ينفعل ، يتذكر ، يتعلم ، يتخيل ، يفكر ، يعبر ، يريد ، ويفعل ، وهو — أى الانسان — فى كل ذلك يتأثر بالمجتمع الذى يعيش فيه ولكنه — أى الانسان — قادر على أن يتخذه — أى المجتمع — مادة لتفكيره وأن يؤثر فيه » .. (٦) .

٧ — أمـا Hilgard فيرى أن علم النفس هو « **العلم الذى** يدرس كلا من سلوك الكائن الحى وخبرته » .. (٧) .

ويستفيض هلجارد فى توضيح الفرق بين سلوك الكائن الحى وخبرته ، ويرى أن من السلوك ما هو كلى ، ومنه ما هو جزئى ، ويرى أن الانسان فى انطلاقته جريا هربا من خطر استشعره ، انما يكون **سلوكه** هنا سلوكا كليا ، بينما يكون نشاط القلب أو الرئتين أو افرازات الغدد أو حتى حركة رجلى الانسان وهو يعدو هربا ، يكون ذلك كله مجرد سلوك جزئى ضمن السلوك الكلى لذلك الانسان الهارب .

أما **الخبرة** فهى فى رأى هلجارد ، تتمثل فى تلك المشاعر التى يضمرها الشخص نفسه وتستتر وراء سلوكه الظاهرى ، ولا يتأتى لعالم النفس أن يتعرف عليها الا من خلال سؤاله للشخص صاحب السلوك .

اذن فاهتمام علم النفس هنا — من خلال وجهة نظر Hilgard قائمة على ركيزتين ، أولهما .. ملاحظة السلوك الانسانى سواء أكان ذلك السلوك سلوكا كليا أو سلوكا جزئيا ، وثانيهما .. هو دراسة المشاعر الخفية للانسان بشرط أن يدلنا ذلك الانسان عليها .

٨ ــ عاد وود ورث عام ١٩٥٢ ، وعرف علم النفس من خلال صلته ومكانته بين **مختلف** العلوم طبيعية كانت أو اجتماعية فقال « أن علم النفس هو العلم الذى يهتم بدراسة نشاطات الفرد من خلال علاقاتها بالبيئة ، وعلم النفس علم وسط بين علم الفسيولوجيا التى تدرس خلايا الجسم وأعضائه ، وبين علم الاجتماع الذى يدرس الجماعات والأمم » .. (٨) .

وأهم ما **يميز** هذا التعريف الجديد لـ Woodworth أنه فضلا عن تحديده لوضعية علم النفس بين غيره من العلوم ، فانه يرى أن الانسان الذى هو موضوع الدراسة فى علم النفس ، انما هو ــ أى الانسان ــ عبارة عن نسيج يجمع بين مختلف النشاطات الفسيولوجية والاجتماعية لذلك الكائن الحى المسمى بالانسان .

٩ ــ ويعــرف Garrett علم النفس بقوله أنه هو « الجهد الذى يبذله الباحث أو العالم النفسى فى سبيل اقامة منهج علمى دقيق يمكنه من جمع البيانات والمعلومات وصياغة قوانين عن السلوك الانسانى سواء كان حركيا أو فعليا » .. (٩) .

اذن فعلم النفس فى رأى جاريت هو **المنهج** أو الطــريقة العلميــة المستخدمة من طرف الباحث أو العالم النفسى لتمكنه من جمع بيانات عن الانسان بهدف التوصل فى النهاية الى القوانين التى تحكم سلوك ونشاط ذلك الانســان .

١٠ ــ حــدد Munn موضوع علم النفس واهتماماته من خلال نظرته الى الانسان كنتاج **للتفــاعل** الحتمى الذى يتم بين ذلك الانسان ــ ككائن حى ــ وبين البيئة التى يعيش فيها .

حيث يرى « من » أن علم النفس هو « العلم الذى يبحث فى أساليب

التكيف الكلى للكائن الحى مع البيئة التى يعيش فيها » أو هو « العلم الذى يعنى بدراسة مختلف عمليات التوافق للكائن فى بيئته » •• [١٠] •

١١ — أمـا Stagner فينظر الى الانسان نظرة أكثر عمقا لا باعتباره مجرد كائن حى ، بل على اعتبار أنه كائن حى **معقد** ومميز عن غيره من بقية الكائنات الحية ، وأهم ما يميزه كانسان أنه لا يتعامل مع البيئة كما هى ، بل يتعامل معها حسب مشاعره وفهمه وادراكه لتلك البيئة التى تحيط به •

ومن هذا المنطلق فان علم النفس كما يراه « ستاجنر » هو « العلم الذى يدرس السلوك والخبرة الانسانية » •• [١١] •

ويرى كثير من علمـــاء النفس أن تعريف **ستاجنر** ، يعتبر تعريفا **مثـاليا** لعلم النفس الحديث ، أمكن خلاله المزج بين سلوك الانســان وخبرته ببيئته مزجا عضويا ، وبحيث لا يمكن لأى عالم أو باحث أن يتناول كل من سلوك الانسان وخبرته تناولا منفردا ، لأن السلوك الانســانى ما هو فى الواقع الا رد فعل لمثير ما علاوة على خبرة ذاتية بذلك المثير تجعله — أى المثير — ذو معنىخاص لدى الشخص المثار ، وبتعبير آخر فان السلوك فى رأى الكثير من علمـــاء النفس •• ان هو الا خــبرة انسانية ذات معنى يمكن الباحث أو العالم النفسى من فهم تلك الخبرة الانسانية فهما مباشرا [١٢] •

١٢ — ومن العلماء ما يرى أن علم النفس ما هو الا علما **انسانيا** خالصا « يدرس الظاهرة النفسية كما تتمثل فى السلوك الانسانى » •

ويرى هؤلاء العلماء أن ذلك السلوك الانسانى هو عبارة « عن كل ما يصدر عن الانسان نتيجة لاتصاله ببيئة معينة عن طريق ادراكه أو وجدانه

أو نزوعه عنهـــا مكتملة » .. [١٣] * .

١٣ ــ ومنهم من يرى أن علم النفس هو ذلك العلم « الذى يعنى بدراسة القوانين العامة التى يتم بمقتضاها **التفاعل** بين الانســـــان والبيئة » .. [١٤] .

١٤ ــ من التعريفات ما يجعل علم النفس أقرب ما يكون الى علم **الاجتماع** ، حيث ترى هذه التعريفات أن علم النفس هو :

(أ) دراسة الجمهرة وظاهرة التجمع .

(ب) دراسة الحياة العقلية الجماعية .

(جـ) دراسة القوى والمؤثرات الاجتماعية .

(د) دراسة التنشئة الاجتماعية [١٥] ** .

١٥ ــ يرى بعض العلماء أن علم النفس « هو العـــلم الذى يهتم بدراسة وبحث كل مظهر من مظاهر السلوك الاجتماعى الفردى » أى أنه « علم سلوك الفرد فى الجماعة والمجتمع » .. [١٦] .

لكن هذا التعريف يعتبر أكثر **مناسبة** لأحد فروع علم النفس ، وهو

(*) أعيدت صياغة هذا التعريف حيث اعتبر علم النفس هو « العلم الذى يدرس سلوك الانسان فيحاول وصفه وتفسيره » ، ويعتبر أصحاب التعريف أن سلوك الانسان ان هو الا وحدة يمكن وصفها « بالظاهرة السلوكية » ، انظر شرحا وافيا لهذا التعريف فى :
دكتور أحمد عزت راجح ــ أصـــول علم النفس ــ مطبعة جامعـــة الاسكندرية ــ ١٩٥٧ ص ص ٢٢ ــ ٢٣ .

(**) يرى منتقدى هذه التعريفات أنها تخرج علم النفس عن نطاقه وأولى بها أن تطلق على أحد فروع علم الاجتماع وهو علم الاجتماع النفسى .

علم النفس الاجتماعى الذى يعتبر ميدان البحث فيه مشتركا ما بين علم النفس وعلم الاجتماع •

وعلى كل فان علم النفس الاجتماعى يعتبر أحد **المحاور** الرئيسية التى يلتقى عندها كل من علم الاجتماع وعلم النفس وعلى النحو الذى سنوضحه فيما بعـــد •

* * *

المصـــادر والتعليقـــات

١ — See, Ruch : Psychology & Life.

٢ — انظر — الدكتور محمد خليفه بركات — مدخل علم النفس — مكتبة مصر — القاهرة — ١٩٥٦ ص ٢٧ .

٣ — المرجـــع الســـابق ص ٢٧ .

٤ — Woodworth, R. & Donald S. Marquis : Psychology, 1911.

٥ — هذا التعريف خاص بالدكتور محمد خليفه بركات — مدخل علم النفس — مرجع سابق ص ٢٨ .

٦ — هذا التعريف خاص بالدكتور يوسف مراد أورده ضمن مؤلفه — مبادىء علم النفس العام — دار المعارف — القاهرة — ١٩٦٢ ص ١١ .

٧ — Hillgard. E. Introduction to Psychology, Harcort, Brace, & Co., 1953. p. 12.

٨ — Woodworth, R. Contemporary Schools of Psychology, Methuen & Co., 1952, p. 19.

٩ — Garrett, H., General Psychology, American Book, Co., 1955, p. 2.

١٠ — Munn, N., Psychology; Fundamentals of Human Adivstment, George & Horrap & Co., 1950, p. 15.

١١ — Stagner, R. Psychology of Personality, Mc. Grow-Hill, 1948, p. 28.

وانظـــر ايضـــا :

Stagner Karwosky, General Psychology.

١٢ — للاستزادة انظر :
دكتور أحمد فائق — مدخل الى علم النفس — مكتبة الأنجلو المصرية — القاهرة — ١٩٦٦ صفحات ١٣ ، ١٨ — ١٩ .

١٣ — انظـــــــــــــر :

الدكتور أحمد زكى صالح — عالم النفس التربوى — مكتبة النهضة المصرية — القاهرة — ١٩٥٧ — ص ٤ .

١٤ — انظـــــــــــــر :

الدكتور محمد عثمان نجاتى — علم النفس الحربى — مكتبة النهضـــة المصرية — القاهرة — ١٩٥٦ ص ١٤ .

١٥ — انظـــــــــــــر :

دكتور فؤاد البهى السيد — علم النفس الاجتماعى — دار الفكر العربى — القاهرة — ١٩٨١ — ص ص ٢٠ — ٢١ .

١٦ — المرجـــع الســـابق ص ٢٠ .

* * *

المبحث الثانى

علم النفس ٠٠ مجالات وميادين

* مجالات البحث فى علم النفس ٠
* اتجاهات البحث فى علم النفس ٠
* الميادين التطبيقية لعلم النفس ٠

* * *

* مجالات البحث فى علم النفس :

اذا ما سألنا علماء النفس **سؤالا** محددا هو ٠٠ فى ماذا تبحثون ؟ ! ٠٠

لكان ردهم — ان بحثنا يرتكز على أربعة محاور هى :

١ — مختلف العمليات النفسية للانسان ، كالانفعالات والادراك والتفكير والتعلم ٠٠ الخ ، وكلها عمليات تحدد الى حد كبير انسانية ذلك الانسان ٠

٢ — مختلف مراحل نمو وتطور ذلك الانسان ، أى كيف وصل ذلك الانسان الى انسانيته التى هو عليها ؟ ! ٠٠

٣ — كيف ولماذا يختلف ويتباين ذلك الانسان ٠٠ أولا عمن سواه من الكائنات الحية وثانيا كيف ولماذا يختلف بنو البشر حتى بين أنفسهم كأفراد وكجماعات ؟ ! ٠٠

٤ — البحث فى وعن مصادر وأشكال المرض النفسى الذى يعترى ذلك الانسان ويجعله غير متوافق أو متكيف مع نفسه أو بيئته •

نتجت عن تلك **المحاور** الأربعة لعلم النفس الحديث ، مجموعة من المجالات لعلم النفس التى توافر كل واحد منها على تغطية محور أو أكثر من تلك المحاور •• حيث نجد على سبيل المثال :

(أ) علم النفس التقليدى :

وهو الذى يختص بدراسة مختلف العمليات النفسية ، والوظائف العقلية المتباينة للانسان البالغ . وذلك بهدف التعرف الدقيق على طبيعته . ومن أمثلة الدراسة فى هذا المجال ، عملية التعلم ، خواص الانفعال . أنماط التفكير ، الذكاء ، الذاكرة ، والتخيل •• الخ •

(ب) علم نفس الطفل :

ويختص بدراسة مختلف مراحل **نمو** وتطور الانسان ، ومن الطبيعى أن تكون البداية هى الطفولة . علاوة على أن الباحث فى هذا الميدان لابد أن يضع فى حسابه دراسة التطور النفسى من خلال علاقته التبادلية بالتطور البدنى والذهنى •

(جـ) الفروق الفردية :

والشغل الشاغل للباحث النفسى فى هذا المجال هو دراسة **التمايز** والانفراد الموجودين سواء بين أبناء الجنس البشرى وغيرهم من الكائنات الحية ، أو بين أبناء الجنس البشرى ذاتهم . علاوة على التأثيرات المختلفة للبيئة على احداث وتعميق ذلك التمايز بين الأفراد والجماعات •

(د) علم النفس المرضى :

ويشغل الباحث أو العالم النفسى نفسه فى مشكلة هى نابعة أصلا عن التمايز الموجود بين الأفراد ، وما يحدثه ذلك التمايز من اختلاف بينهم من

حيث التطور والنمو وأداء الوظائف العقلية والنفسية ، وما قد يؤدى اليه ذلك الاختلاف من نشاط غير عادى أو شاذ ، مع ما يترتب على ذلك الشذوذ من خلل يقود بدوره الى فساد الذات ومرضها •

* اتجاهات البحث فى علم النفس :

تأثرت اتجاهات البحث فى علم النفس هى الأخرى بالعديد من الاتجاهات التى كانت سائدة فى عدد من العلوم الطبيعية والاجتماعية •

ولعل أبرز العلوم الطبيعية التى تأثر بها علم النفس ، هما علمى الكيمياء والفسيولوجى ، فالكيمياء يستخدم أسلوب التركيب والتحليل فى مباحثه ، أما الفسيولوجى فهو علم يبحث فى المرض كأساس لتحديد الدواء ، ومن هنا كانت استفادة علم النفس منهما عظيمة •

كما أن علم النفس من خلال اتصاله بالدراسات الأنثربولوجية قد غير كثيرا من مفاهيمه ، حيث اتضح لعلماء النفس ، أن الانسان لا يعيش فى فراغ وأن نشاطاته ليست شيئا مطلقا أو ذات طابع واحد ، وانما تتأثر النشاطات الانسانية بشكل واضح بمختلف الظروف البيئية والاجتماعية المحيطة •

ومن هنا بدأ اهتمام باحثوا وعلماء النفس بالانسان من خلال بيئته التى يعيش فيها •

* الميادين التطبيقية لعلم النفس :

يهدف علم النفس — كغيره من العلوم — الى الوصول الى المعرفة ، وليست المعرفة فى حد ذاتها هى هدف علم النفس خصوصا فى مثل مجتمعاتنا النامية ، بل لابد من وجود خطوة تلى المعرفة ، ونعنى بها محاولة الاستفادة بتلك المعارف من خلال التطبيق العملى أو الميدانى لها •

ومن هنا كان سعى علم النفس الدائب للوصول الى المعرفة بهدف تبديل الواقع وتغييره الى الصورة المطلوبة ؛ وكما هو متفق عليه — بين علماء النفس — فان المعرفة التى يسعى اليها علم النفس ترتبط بالنشاطات الانسانية ، سواء منها ما كان فى الماضى أو الحاضر . وذلك من أجل ضمان صورة مستقبلية مرغوبة لتلك النشاطات .

وعلى كل حال يمكننا أن نحدد **الميادين** التطبيقية لعلم النفس على الوجـــه الآتـــى :

١ — علم النفس العيـــادى :

يهتم علم النفس فى هذا المجال **بتشخيص** الحالات المرضية ، علاوة على عملية التوجيه النفسى ، وذلك من خلال ما يطبقه الباحث النفسى من معارف سواء عند تشخيص الحالة المرضية ، أو عند تقديم المشورة النفسية لطالبيهـــا .

ومن الضرورى أن يستثمر العالم أو الباحث النفسى كل ما توافر لديه من معلومات ومعارف مستمدة من مختلف فنون وفروع علم النفس .

٢ — علم العـــلاج النفسى :

ويعتبر هذا الميدان من الميادين التى حظيت بالكثير من اهتمامات واسهامات علمـــاء النفس ، بل ويعتـــبره الكثيرون من أبرز اهتمامات علم النفس ان لم يكن أبرزها جميعا ، وذلك راجع لمـــا يتوقعه رجل الشارع من أن مهمة علم النفس هى بالدرجة الأولى تقديم **علاج** لمرض ، قبل أن تكون حل مشكلة تربوية أو صناعية أو تجارية .

هذا علاوة على المجهودات الحماسية والناجحة التى أسهم بها علماء النفس فى هـــذا المجـــال ، عنـــدما راحـــوا فرادى وجماعات يبذلون

قصارى جهدهم لعلاج الحالات المرضية ، ومنهم من ارتكز على التحليل النفسى أو على ابتكار وسائل سلوكية للعلاج [١] .

ومنهم من اهتم بعمليات التكيف ، ومنهم من لجأ الى الأساليب القديمة للتحليل النفسى فيما يعرف بعملية التفريغ النفسى باستخدام التنويم الايحائى ، والعقاقير المهدئة بغرض المساعدة على عملية التفريغ تلك .

٣ ــ علم النفس التربوى :

ويهدف علماء النفس من خلال هذا الميدان الى **تقديم** مختلف المعلومات التى تمكن المعلمين والمربين والآباء من تربية الصغار وتنشئتهم تنشئة اجتماعية ونفسية سليمة .

هذا علاوة على ترشيد ولفت نظر المجتمع كهيئات وأفراد بمختلف ظواهر الانحراف فى المجتمع ، مع توضيح أيسر الطرق لمواجهتها وعلاجها طبقا للامكانيات الفنية والمادية والبشرية المتاحة .

ومن الطبيعى أن يرتكز عالم النفس فى هذا المجال على ما توافر لديه من معارف هيأت له أن يكون على علم **بخصائص** النمو والتطور فى كل مرحلة من المراحل العمرية « السنية » المختلفة [٢] .

٤ ــ علم النفس الاجتماعى :

كان لابد لعلم النفس من أن يقتحم ميدان الظواهر الجماعية متجاوزا بذلك الظواهر الفردية التى ركز معظم جهده عليها لفترات طويلة ، حيث اتضح لعلماء النفس أن نشاط **الجماعات** انما هو نتاج للنشاط الفردى ، علاوة على أنه نابع أصلا من نفوس الأفراد المكونين لتلك الجماعات .

وارتكز نشاط علم النفس فى هذا المجال على دراسة مختلف الظواهر

الاجتماعية كالميول والاتجاهات والروح المعنوية والقيادة ، علاوة على دراسة ديناميات الجماعات والعوامل المؤثرة فى تماسكها [٣] .

هذا ويرى علماء النفس أن علم النفس الاجتماعى يبحث فى الميدان العلمى **المشترك** بين علمى النفس والاجتماع ، ويعرفونه بأنه « العلم الذى يتناول بالوصف والتجريب والتحليل سلوك الفرد مع الأفراد مجتمعين أو متفرقين » ، أى أنه العلم الذى « يعنى بالدراسة العلمية لسلوك الفرد من حيث تأثره بسلوك الأفراد الآخرين ، ومن حيث تأثيره فيهم » .. [٤] .

كما يفيد علماء النفس أن وحدة التحليل فى مجال علم النفس الاجتماعى هى « حدث سلوكى شخصى ، أو بمعنى آخر ما ينشأ من علاقات نتيجة للتفاعل الاجتماعى القائم بين الأفراد » .. [٥] * .

٥ — علم النفس الصناعى :

وفى هذا الميدان يستثمر علماء النفس ما توافر لديهم من معلومات عن الفروق الفردية وخواص الوظائف النفسية ، **يستثمرون** ذلك كله فى ابتكار وسائل للاختبارات التى تفيد فى مجالات الاختيار والتوجيه المهنى للعمال فى مجال الصناعة ، وبحيث يكون العائد النهائى لتلك المجهودات هو وضع العامل المناسب فى المكان المناسب ، وما يعود به ذلك من فوائد مزدوجة بالنسبة لكل من العامل والعمل على السواء .

ولقد أثبتت العديد من التجارب ، أن لكل عامل قدرات ومميزات خاصة ، كما أن لكل عمل طبيعة ومواصفات خاصة ، وأنه اذا أمكن اختيار

(*) يعرف علم النفس الاجتماعى بأنه « العلم الذى يدرس الكائن الانسانى فى تفاعله مع بيئته ، ذلك التفاعل الذى يتم فى معظمه على أسس رمزية » وهو العلم الذى « يدرس التفاعل بين الفرد والعالم ، ويدرس كذلك نتاج ذلك التفاعل اى الشخصية » وعلى كل حال سنعود لمزيد من التعريفات خلال حديثنا المفصل عن علم النفس الاجتماعى خلال المبحث الخامس من هذا المفصل . ص ص ١٢٧ — ١٣٥ .

العامل الأكثر توافقا مع عمله فان انتاجية ذلك العامل سوف تنمو باستمرار من جهة ، علاوة على ارتفاع مستوى الكفاية الانتاجية ذاتها من جهة أخـــرى •

هذا ولم **تقتصر** مجهودات علمـاء النفس على عمليتى الاختيـار والتوجيه المهنى فى مجال الصناعة فقط ، بل اتجهت مجهوداتهم نحو عمليات التدريب والتأهيل المهنى ، علاوة على اسهاماتهم فى مجالات دراسة ظروف العمل والأمن الصناعى وقياس معدلات الأداء •• وما اليها •

هذا ويشكل علم النفس الصناعى مع علم الاجتماع الصناعى ، أحد النقاط الهامة **للالتقاء** ما بين كل من علمى النفس والاجتماع ، ومن أبرز الدراسات التى جسدت ذلك اللقاء التجارب التى أجريت على بعض عاملات شركة ويسترن اليكتريك ، والذى اشترك فيها فريق من الباحثين الاجتماعيين والنفسيين بهدف دراسة وقياس الآثار المترتبة على تغيير الظروف الفيزيقية فى العمل والانتاجية ، ولقد اتجه فريق البحث بعد أن أثبتت له التجارب أن تغيير الظروف الفيزيقية لم يكن له التأثير الفعال فى زيادة الانتاج ، واتجه فريق البحث بعد ذلك الى احداث تغييرات فى فترات الراحة وطرق الترفيه ومدة ساعات العمل ، وبالفعل أدى ذلك الى زيادة انتاجية الفتيات الست موضع التجربة ، وظلت انتاجيتهن كما هى حتى بعد تغيير الظروف الفيزيقية للعمل بعد ذلك •

المهم **أن التعاون** فى هذا المجال بين الباحثين الاجتماعيين والنفسيين أثبت أن هناك عوامل أخرى تفوق الظروف الفيزيقية من حيث تأثيراتها على الانتاجية ، الأمر الذى كان له دوره البارز فى تحسين الانتاجية الصناعية فيمـا بعـد •

٦ ــ مجالات أخـرى لعلم النفس :

لم تكن الفروع الخمسة التى ذكرناها •• هى التفريعات الوحيدة

لعلم النفس خصوصا فى مجالات التطبيق . وانما توجد الى جوارها اهتمامات أخرى لعلم النفس **نوجزها** فيما يلى :

(أ) علم نفس الحيوان :

ويدرس علماء النفس — من خلال هذا العلم — سلوك الحيوانات من خلال عدة ظروف خارجية ، للتعرف على نوعية الذكاء لدى الحيوان — محل الدراسة — وعلى دوافعه المختلفة . وعلى ادراكه للعالم الخارجى . فضلا عن سلوكياته داخل مجتمعه الحيوانى .

(ب) علم النفس المقارن :

وكما هو واضح من اسمه . فان مجال اهتمامه الرئيسى اجراء المقارنات بين مختلف ألوان السلوك فى مختلف مجالات الدراسة فى علم النفس ، فهو مثلا **يقارن** ما بين سلوك كل من الطفل و الأكبر منه سنا . وما بين سلوك الأسوياء والشواذ . وما بين سلوك الانسان والحيوان . وما بين سلوك الانسان البدائى أو غير المتحضر بنظيره من المتحضرين . ثم **استخلاص** النتائج من ذلك كله وصولا لفهم أعمق للطبيعة البشرية .

(جـ) علم النفس الجنائى :

ومجال اهتمامه الرئيسى هو الجريمة والمجرمون . بمعنى دراسة الأسباب والدوافع التى تؤدى بالمجرم الى ارتكاب جريمته . فضلا عن دراسة سبل ارتكاب الجريمة وأسباب انتشارها والعوامل المؤدية اليها .

(د) علم النفس القضائى :

هو العلم الذى يهتم بدراسة العوامل النفسية الشعورية واللاشعورية التى تحيط بكل أطراف العملية القضائية .. والمقصود بأطراف العملية

القضائية هنا .. هم .. المتهم والمجنى عليه والشهود والقاضى وممثل الدفاع وممثل النائب العام * ، علاوة على جمهور المشاهدين سواء للجريمة وقت حدوثها أو أثناء اجراء المحاكمة .

(هـ) علم النفس التجارى والادارى :

ويهتم علم النفس فى هذا المجال بدراسة **السلوك** البشرى حول مختلف العمليات المتصلة سواء بالتجارة أو ادارة الأعمال .

التجارة من **حيث سيكولوجية** التسويق والبيع أو سيكلوجية الاعلان الاهتمام بالمستهلك فردا كان أو جماعة .

وادارة الأعمال من حيث **دراسة** الروح المعنوية والقيادة فى المؤسسات الصناعية والتجارية وغيرها من المشروعات علاوة على مختلف صور التنظيم الرسمى وغير الرسمى فى المنشآت التجارية المتعددة [٦] .

(و) علم النفس الحـــربى :

ويهتم الباحثون النفسيون وعلماء النفس فى هذا المجال بكل ما يتعلق بالحرب ، ابتداءا من اعداد الفرد المقاتل اعدادا نفسيا وذهنيا وبدنيا مناسبا مع مشاق القتال ومخاطره بل وأهواله ، وانتهاءا بكيفية اعـــداد الشعوب للحروب خاصة ما تعلق برفع الروح المعنوية والدعاية وما اليها .

كما تمتد مهمة علم النفس الحربى **لعلاج** المصابين من جراء العمليات الحربية خاصة ما تعلق بالأمراض النفسية والعصبية ، هذا فضلا عن اعداد الجنود واعادة توجيههم للحياة المدنية عقب انتهاء الحروب [٧] .

* * *

(*) يطلق على ممثل النائب العام الفاظا مشابهة كوكيل النيـــــابة كما هو فى المشرق العربى ، ووكيل الدولة كما هو الحال فى بلاد المغرب العربى .

المصـــادر والتعليقـــات

١ ــ انظر فى ذلك باللغة العربية :

(أ) سيجمند فرويد ــ مقدمة فى التحليل النفسى ــ ترجمة الدكتور اسحق رمزى ــ دار المعارف ــ القاهرة ــ ١٩٥٠ .

(ب) سيجمند فرويد ــ معالم التحليل النفسى ــ ترجمة الدكتور محمد عثمان نجاتى ــ مكتبة النهضة المصرية ــ القاهرة ــ ١٩٥٥ .

(ج) دكتور مصطفى فهمى ــ الشذوذ النفسى ــ مكتبة مصر ــ القاهرة ــ ١٩٥٧ .

(د) الدكتور مختار حمزه ــ سيكلوجية المرضى وذوى العاهات ــ دار المعـــارف ــ القاهرة ــ ١٩٥٦ .

(هـ) ارنست جونز ــ التحليل النفسى ــ ترجمة الدكتور فتحى الشنيطى ــ مكتبة القاهرة الحديثة ــ القاهرة ــ ١٩٥٦ .

(و) الدكتور محمد خليفة بركات ــ عيادات العلاج النفسى ــ دار مصر للطباعة ــ القاهرة ــ ١٩٥٦ .

(ز) الدكتور عبد المنعم المليجى ــ خبراء النفوس ــ مكتبة مصر ــ القاهرة ــ ١٩٥٦ .

٢ ــ انظر فى هذا المجـــال باللغة العربية :

(أ) دكتور أحمد زكى صالح ــ علم النفس التربوى ــ مرجع سابق .

(ب) آرثر جيتس وزملاؤه ــ علم النفس التربوى ــ ثلاثة اجزاء ــ ترجمة الدكتور ابراهيم حافظ وآخرين ــ مكتبة النهضة المصرية ــ القاهرة ــ ١٩٥٥ .

٣ ــ للاســـتزادة انظـــر :

دكتور فؤاد البهى السيد ــ علم النفس الاجتماعى ــ مرجع سابق .

٤ ــ المرجـــع الســـابق ص ٢٠ .

٥ ــ للاســـتزادة انظـــر :

Krech, D., Crutchfield, R. S; and Bollachey, E. L. Individual in Society, New York. McGraw, 1962, pp. 3-8.

٦ ــ للاستزادة فى هذا المجال انظـــر :

الدكتور أحمد زكى صالح ــ الخدمة النفسية فى التجارة وادارة الأعمال ــ دار النهضة العربية ــ القاهرة ــ ١٩٦١ .

٧ ــ للاســـتزادة انظـــر :

دكتور محمد عثمان نجاتى ــ علم النفس الحربى ــ مرجع سابق .

* * *

المبحث الثالث

اهتمامات مشتركة بين علمى النفس والاجتماع

* التفاعل كمجال مشترك للتعاون •
* الجماعات وديناميانها •
* العمليات الاجتماعية •

* * *

* علم النفس وعلم الاجتماع :

كما سبق أن أوضحنا ، فان من أبرز سمات علم النفس المعاصر هى اتجاهه الى التركيز على دراسة **نشاطات** النفس الانسانية من خلال تفاعلاتها المختلفة مع البيئة ، وحتى يحقق الفرد تكيفه مع البيئة التى يعيش فيها لابد وأن يكون سلوك ذلك الفرد ناتجا عن فهم لمختلف الظروف المحيطة به •

أو بمعنى آخر فان تكيفنا — كأفراد — مع البيئة مستحيل دون أن تتوافر لدينا المعلومات الصحيحة عنها من جهة ، ودون أن تتوافر من جهة أخرى لدى كل منا — ككائن حى — القدرات القادرة على التفاعل الصحيح مع مختلف الطاقات والنشاطات من حولنا •

كما أدى اهتمام العديد من علماء الاجتماع وباحثيه خلال السنوات الأخيرة بموضوع **التفاعل** سواء أكان بين شخصين أو أكثر ، الى جانب دراسة مختلف العلاقات التبادلية بين العديد من الجماعات المتمايزة أو الصغيرة داخل نطاق علم اجتماع الجماعات الصغيرة •

وأدى ذلك الاهتمام المتبادل سواء من جانب علماء الاجتماع أو علماء

النفس . الى وجود أرضية **مشـــتركة** بين علمى الاجتماع والنفس ، ونشأت بينهما اهتمامات مشتركة على المستوى الفردى والجماعى .

وما مواضيع ديناميات الجماعة والتنشئة الاجتماعية ، ودراسة الشخصية فضلا عن موضوع الفعـــل الاجتماعى . الا أمثـــلة لذلك الفهم المشترك للعديد من الظواهر المجتمعية والنفسية الذى أوجد أوثق الروابط بين كل من علمى الاجتماع والنفس للدرجة التى جعلت عالما سوسيولوجيا مبرزا هو بارسونز يتجه الى تأسيس مدرسة سوسيولوجية ترتكز على دراسة الفعل الاجتماعى من أجل تحديد دوافعه والتعرف على أبعاده ونتائجه المختلفة والمؤثرة فى حياة كل من الفرد والجماعة والمجتمع [١] .

وعلى كل حال نحن سنحاول هنا أن نعرض لبعض التى **الموضوعات** تمثل تلك الأرضية المشتركة ما بين كل من علم الاجتماع وعلم النفس وعلى النحـــو الآتى :

(١)

* الجماعات ودينامياتها :

تشكل الجماعة أحد الموضوعات الرئيسية للدراسة فى علم الاجتماع . حيث تمثل الجماعة الاجتماعية نسقا يتألف من أجزاء دون أن تفقد هذه الأجزاء فرديتها و ذاتيتها .

وعلى الرغم من أن الجماعة تتكون من مجموع الأفراد الا أنها كنسق أو كبنـــاء تمتلك من الخواص والسمات ما لا يمكن أن يتوافر لأى فرد من أفرادها المكونين لها منفردا .

كما أن الجماعات تهدف الى **اشـــباع** الحاجات الانسانية للمنتمين اليها من خلال العديد من العلاقات التى تربط أعضاءها من جهة ، والتى تتسم بالتفاعل والدينامية من جهة أخرى حتى يمكن مواجهة الحاجات الانسانية المتنوعة والمتعددة [٢] .

أما الجماعة فى علم النفس الاجتماعى فهى « الجماعة التى يتفاعل أفرادها مع بعضهم البعض فى مواقف محددة ، وما ينشأ عن هذا التفاعل فى تلك المواقف من علاقات اجتماعية متبادلة » (٣) .

والاتجاه **السائد** فى علم النفس الاجتماعى المعاصر هو الاهتمام بالجماعات الصغيرة بدرجة أكبر من الاهتمام بالجماعات الكبيرة ، لذلك فالجماعة الصغيرة هى « وحدة تتكون من مجموعة قليلة من الأفراد الذين يتصفون بادراك اجتماعى مشترك أو متشابه ، وبأنهم يتخذون من البيئة المحيطة بهم موقفا محددا » (٤) .

هذا ويؤكد العديد من علماء النفس على وحدة القيم والمعايير التى توجه سلوك كل فرد من أفراد الجماعة فى **تفاعله** مع الآخرين ومع البيئة المحيطة بهم وبه ، كما يمتد مفهوم الجماعة عند بعضهم حتى يشمل وحدة الهدف الذى تسعى الجماعة الى تحقيقه ، ويؤكدون على ضرورة أن يكون ذلك الهدف اجتماعيا فى نفس الوقت .

كما أنهم يعتبرون وحدة **الهـدف** هى العاصم للجماعة عندما تواجه خطرا يهدد وحدة كيانها ، ومن هذا المنطق يجب النظر الى الجماعة باعتبار أنها كيان دينامى وليس مجرد تجمع للأفراد (٥) .

ومن العلماء من يرى أن الجماعة « تتكون من ثلاثة أشخاص أو أكثر بينهم علاقة ودية ، حيث يوجد تأثير قوى متبادل ونشاط انفعالى مباشر وطويل الأمد بين الأفراد الذين يكونونها » .. (٦) .

ومنهم من يرى أن الجماعة فى مفهومها المنطقى ان هى الا مجرد تصنيف لطـائفة من الناس **يشتركون** معا فى صفة أو صفات متعددة ، كما يرون أن الجماعة فى مفهومها النفسى والاجتماعى ان هى الا تلك المجموعة من الناس التى يتفاعل أفرادها فى مواقف محددة ويدركون البيئة المحيطة بهم ادراكا اجتماعيا مشتركا أو متشابها ، وينسبون سلوكهم الى قيم

ومعايير واحدة ، ويعتمدون فى تحديد مكانتهم الاجتماعية على تلك القيم ، ويسعون لتحقيق هدف مشترك ، ويؤدون أدوارهم فى أى نشاط تقوم به الجماعة وفق ما بينهم من فروق فردية تميز وتؤكد خصائص كل فرد منهم [٧] * .

لكن ما هو المقصود بالدينامية ؟ ! ..

اختلف مفهوم الدينامية خاصة ما تعلق منه بالجماعات وتعددت استخداماته ، فمن الباحثين من يرى أن الدينامية أو الديناميكية انما تعنى نوعا من **الأيديولوجية** التى ترتبط بمجموعة من الأساليب اللازمة لتوجيه الجماعات وتنظيمها ، ويؤكد هذا المفهوم على ضرورة قيام قيادة ديمقراطية داخل الجماعات تتيح مشاركة الأعضاء فى اتخاذ القرارات وتحمل المسئوليات بصورة تعاونية .

ومنهم من يرى أن دينامية الجماعة ما هى الا مجرد **مجال** للبحث يهتم بالحصول على معلومات عن طبيعة الجماعات من ناحية القوانين التى تنظم نموها ، والعلاقات المتبادلة بين الأعضاء ومع الجماعات الأخرى والمؤسسات الأكبر [٨] .

ومن الباحثين من يرى أن ديناميكية الجماعة أو ديناميتها ما هى الا عنوان **ميدان** من ميادين البحث فى علم النفس الاجتماعى ، وهى تتضمن اتجاهات نظرية وتطبيقية تتعلق بالجماعات وبالتفاعل داخلها ، وهى تعنى أيضا القوى التى تؤثر فى العلاقات والتفاعلات داخل الجماعة ، وبالتالى القوى التى تؤثر فى سلوك الجماعة كجماعة » [٩] .

(*) من الاجتماعيين من يرى أن الجماعات انما تعنى « تكوين الأجسام الاجتماعية التى يسود كل منها شعور بالمشابهة أو الانتماء بين أعضائها ، بالاضافة الى تمييز مشعور به بين كل الأعضاء وبين أعضاء آخرين غير متشابهين أو غير منتمين الى جانب البناء الداخلى » انظر :
دكتور محمد عاطف غيث — دراسات انسانية واجتماعية — دار المعارف — القاهرة — ١٩٦٥ ص ٤١ .

(٢)

* العمليات الاجتماعية كميدان للتعاون بين علم النفس والاجتماع :

الانسان يحيا فى مجتمع وينتمى للعديد من الجماعات ، وهو فى كل ذلك يدخل فى علاقات عديدة ومتشابكة مع الآخرين ، وتنهض هذه العلاقات على **التفاعل** من خلال وسائل اتصال مختلفة ومتعددة حسب مواقف التفاعل وأهدافه ، كما يتخذ ذلك التفاعل عدة أشكال وصور يؤدى بعضها كالتعاون والتنافس الى تحقيق الأهداف المجتمعية والفردية بما يحقق التكامل بين الأفراد والجماعات أطراف التفاعل من جهة ، وبما يدعم من جهة أخرى البيئة الاجتماعية للمجتمع ككل .

ولكن من العمليات الاجتماعية كالصراع ما يسعى الى تحقيق **أهداف** تدميرية من خلال التفاعل بما يجره ذلك الصراع من آثار ضارة سواء على أطراف التفاعل المباشرين أو على المجتمع ككل .

المهم أن العمليات الاجتماعية أو عمليات التفاعل الاجتماعى Process of Social Interacion تمثل أحد المجالات الرحبة **للتعاون** ما بين علمى الاجتماع وعلم النفس ، لأنها كلها أنماط سلوكية يهتم علم النفس بدراسة الجوانب النفسية فيها ، بينما يعنى علم الاجتماع بدراسة دورها فى المجتمع ومختلف التأثيرات سواء الناتجة عنها أو الداخلة فيها .

وحتى يحين حديثنا عن الفعل الاجتماعى فى غير هذا المكان لتتضح أكثر مختلف صور التلاحم بين علمى النفس والاجتماع عند دراسة موضوع السلوك الاجتماعى ، نقول حتى يحين موعد ذلك الحديث سنتناول الآن العمليات الاجتماعية فى كثير من الانجاز .

١ — التعـــــــاون :

التعاون Cooperation هو « العمل المشترك والمتسم بالاستمرار بين فردين أو أكثر بغرض تحقيق هدف متفق عليه ، أو انجاز عمل مشترك » .. (١٠) .

والتعاون يكاد يكون سمة الحياة المجتمعية اليومية . لأنه من المتفق عليه أن الانسان ما عاد فى مقدوره أن يحيا منفردا .. وأن المجتمع هو قـدره الذى يحيا فيه وله ، ولا أكاد أبالغ ان قلت أن **التعاون** يكاد أن يكون هو السمة الغالبة على مختلف عمليات التفاعل الاجتماعى . ولا نستثنى من ذلك سوى الصراع عندما يأخذ شكلا جماعيا تدميريا ودمويا . وحتى الصراع فى معظم أشكاله وصوره المؤثرة لا يكاد يكون فرديا .. لأن المجتمع أو الجماعة لقادرة على **احتواء** ذلك الصراع الفردى قبل أن يهدد وجودها ويدمر بنيانها ، لكن الصراع عندما يأخذ شكلا جماعيا سواء على مستوى الجماعة ككل مع جماعة أخرى أو المجتمع ككل مع مجتمع آخر فانه قـد يكون صراعا **مرغوبا** فيه لتحقيق أهداف متفق عليها . كالصراع ضـد الاستعمار والصراع ضد الاستغلال والصراع من خلال الحرب لتحقيق أهداف يراها المجتمع مشروعة على الأقل من وجهة نظره .

٢ ـ التنـــــــافس :

التنافس Competion . كالتعاون .. يتمثل فى كل عمل فردى أو جماعى لتحقيق هدف مشترك . لكن العمل ـ فى حالة التنافس ـ يتسم بنوع من الكفاح أو **الحماس** لتحقيق ذلك الهدف . لكن بشرط ألا يضر ذلك بأهداف وآمال الآخرين أو يهدد سلامة وبنية المجتمع .

وصور التنافس هى الأخرى من الصور المجتمعية اليومية المتكررة ســواء على **مســتوى** الأفراد أو الجماعات أو المجتمعات . ويتسم بالديمومة فضلا عن اتسام نتائجه وآثاره بالايجابية فى معظم الأحوال .

٣ ـ الصـــــــراع :

الصراع Conflict ، هو تنافس **جامح** يحاول أن يحقق أهدافه ولو كان ذلك عن طريق الجبر بما فيه من احتمالات العنف فضلا عن قسر ارادات الآخرين ، ولا يهم أن يكون أولئك الآخرين فردا أو أفرادا أو

جماعات أو حتى مجتمعـات ، المهـم أن الصراع ـ كعملية اجتماعية ـ يستهدف ليس فقط تحقيق غاياته وانما يستهدف أيضا وبالدرجة الأولى الحاق **الهزيمة** بكل منافس على ذات الهدف •

وجموح الصراع قد يجعله ـ فى سبيل تحقيقه لسعيه ـ يسلك وسائلا غير مشروعة ، والصراع على الرغم من وجوده فى الحياة المجتمعية اليومية كظاهرة ، الا أنه لا يتسم بالثبات أو الاستمرار •

هذا وليس الصراع **شـرا** على طول الخط ، فمن الصراع ما هو ضرورى لاستمرار الحياة ، ومنه أيضا ما هو ضرورى لتعديل مسارها ، ومنه كذلك ما هو ضرورى للحياة نفسها •

ولذلك كله صور وأشكال فى الحياة اليومية ، فصراع الطفل ضمن نطاق أسرته ينمى احساسه بذاته ويكسبه الكثير من معايير المجتمع وقيمه ، وصراع الجماعات بوسائل **مشروعة** وداخل نطاق المجتمع يقوى شعورها بالانتماء ويدعم احساسها بالجمعية أو بالـ « نحن » كما يقول علمـاء التربية ، والصراع هو أداة التغيير الاجتماعى ضد عوامل الاحباط والتخلف والقهر التى تحد من حركته أو تعوق تطلعه لغد أفضل أو تفرض عليه وصـاية •

والصراع فى صورته **العاقلة** أو غير الجامحة ان هو فى حقيقة الأمـر الا تعاونا مشروعا ومقبولا لتحقيق أهداف وغايات مجتمعية متفق عليهـا بوسائل معينة •

والخلاصة أن الصراع •• ان كان داخليا ـ أى بين أعضاء الجماعة أو المجتمع ـ كثيرا ما يؤدى الى **تفكك** الجماعة أو المجتمع وربما الى انهيارهما ، أما اذا كان الصراع خارجيا •• بمعنى أن يكون بين الجماعة أو المجتمع ككل وبين جماعات أو مجتمعات أخرى فانه ـ أى الصراع ـ غالبا ما يؤدى الى **التكامل** ، والتكامل الذى نعنيه هنا هو تكامل بين أعضاء ومكونات الجماعة أو المجتمع المتصارع وليس بين أطراف الصراع كله •

٤ ــ الملاءمة أو التواؤم * :

الملاءمة أو التواؤم Accommodation ، كعملية تستهدف احتواء الصراع بهدف **المواءمة** بين أهداف طرفى الصراع للوصول الى حل توفيقى لا تهدد نتيجته كيان الجماعات المتصارعة ولا بنيات المجتمعات المتصارعة كذلك .

والملاءمة كعملية توفيقية موجودة فى الحياة المجتمعية طالما كان الصراع موجودا وقائما فى المجتمع .

اذن عملية الملاءمة .. هى احدى عمليات التفاعل الاجتماعى ، والتى **تعدبديلة** لعملية الصراع والتى يلجأ اليها أطراف الصراع لاعادة الحساب بين تكاليف الصراع وبين منجزاته ، وتكاليف الصراع ليست مادية فقط وانما هى عصبية ونفسية أيضا ، تأخذ عملية اعادة الحساب تلك ــ الملاءمة ــ أشكالا متعددة منها ما هو **نابع** من داخل أطراف الصراع ومنها ما هو مفروض عليها ومنها ما هو مقبول ومدفوع منها ، فالقيم والمعايير والدين والثقافة ، كلها أمور هى من مكونات الجماعة أو المجتمع المتصارع وقد تفرض عليه نوعا من التسامح أو التساهل أو غض النظر عن بعض مثيرات الصراع .

أما الأشكال **المفروضة** للملاءمة فتتمثل فى تدخلات السلطة المحلية أو المركزية أو التدخلات الدولية أو الأخطار الخارجية أو الكوارث القومية ، كتدخلات السلطات المحلية ــ رسمية أو شعبية ــ اذا ما استفحل الصراع بين جماعتين فى مجتمع محلى ما ، ومنها تدخل الدولة بمؤسساتها وأجهزتها الحكومية اذا ما نشب صراع بين اقليمين من الأقاليم المكونة للدولة ، ومنها

(*) يطلق علماء الاجتماع على الملاءمة لفظ آخر هو التوافق او التوفيق ، لكننا نميل الى استخدام هذا المصطلح الجديد « الملاءمة أو التواؤم » ليس فقط لانه الترجمة المعبرة عن النص الانجليزى accommodation ، ولكن لانه أصدق تعبيرا عن محتوى عملية التواؤم ذاتها .

تدخل الأمم والدول المجاورة اذا ما نشب صراع مسلح بين دولة وأخرى ، ومنها تدخل المجتمع العالمى متمثلا فى الضغوط الدولية والشعبية — كالرأى العـــام — أو من خلال المنظمات الدولية كمجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة ، ومنظمة الوحدة الأفريقية وجامعة الدول العربية وما اليها عندما ينشب صراع دولى يهدد أمن العالم واستقراره •

أما عن الأشكال **المقبولة** لتحقيق الملاءمة بين طرفى أو أطراف النزاع ، فمنها لجان التحكيم بمستوياتها المختلفة ، أو مجالس العائلة أو تدخلات القيادا تالمحلية أو التنفيذية ، ومنها كذلك اللجوء الى القضاء •

هذا وقد **تتسع** عملية المواءمة لتضم ما يعرف بعملية الاحتـــواء Assimilation ، ليس بالمعنى المباشر للاحتواء وهو احتواء الصراع فقط عن طريق تجميع طرفى الصراع نحو أهداف أخرى غير تلك المتصارع عليها ، ولكن بالمعنى الوقائى للاحتواء عن طريق تذويب شخصيات المتصارعين أفرادا كانوا أو جماعات فى الشخصية العامة للمجتمع بما يقوى ويعمق لديهم الانتماء للمجتمع ككل بأهدافه القومية وقيمه المرعية •

* * *

مصـــادر وتعليقـــات

١ ــ للاستزادة حول بارسونز واسهاماته السوسيولوجية :
دكتور صلاح الفوال ــ معالم الفكر السوسيولوجى المعاصر ــ مرجـــع سابق ص ص ١٦١ ــ ١٦٨ .

٢ ــ للاستزادة انظـــر :
المرجع السابق ص ص ١٧٨ ــ ١٧٩ .

٣ ــ الدكتور فؤاد البهى السيد ــ علم النفس الاجتماعى ــ مرجع سابق ص ٣٠٢ .

٤ ــ Smith, M. Social situation. social behaviour, social group. Psych. Rev. 1952, p. 224.

٥ ــ للاستزادة انظـــر :

(أ) Froeud, S. Group Psychology and the Analysis of the Ego, London. Hogarth, 1922.

(ب) Deutsch, M. The effects of cooperation and competition upon group process In Cartwright, D., and Zander. A. Group Dgnamics. New york. Harper. 1960, pp. 411-450.

٦ ــ Slavon, S. R. The Dynamics of Group Process, Readings In Group Work, Ed. Dorothes F. Sullivan. New York. Association Press, 1952, p. 223.

٧ ــ دكتور فؤاد البهى السيد ــ علم النفس الاجتماعى ــ مرجع سابق ص ٣٤٦ .

٨ ــ انظر : محمود حسن ــ ديناميكية الجماعة فى « قراءات فى الخـــدمة الاجتماعية » ــ مكتبة القاهرة الحديثة ــ القاهرة ــ ١٩٦٤ ــ ص ص ١٣٩ ــ ١٤٠ .

٩ ــ انظـــــــر :

Hollenbeck, Heward B. «The Group Dynamics Concept of The Group» The Group. Vol. 17. No. 1. October, 1954 p. 13.

وانظر كذلك لتأخذ فكرة أوضح عن الجماعات :
دكتور صلاح الفوال ــ علم الاجتماع .. المفهوم والموضوع والمنهج ــ دار الفكر العربى ــ القاهرة ــ ١٩٨٢ ــ المبحث الثالث من الفصل الرابع والخاص بـــ « الجماعات الاجتماعية كموضوع للدراسة فى علم الاجتماع » .

وانظر ايضـــا :

دكتور محمد شمس الدين أحمد ــ العمل مع الجماعات فى محيط الخدمة الاجتماعية ــ مطبعة يوم المستشفيات ــ القاهرة ــ ١٩٨١ ــ ص ١٠٠ .

١٠ ــ Green, Arnold : Sociology, An Analysis of life in Modern Society, N. Y. 1968, p. 71.

* * *

المبحث الرابع

التوجيه الاجتماعى والقياسات الاجتماعية
بين علم النفس وعلم الاجتماع

* التوجيه الاجتماعى .
* القياسات الاجتماعية .
* دراسات الشخصية والقيادة .

* * *

* التوجيه الاجتماعى والقياسات الاجتماعية :

تشكل عمليات التوجيه الاجتماعى والقياس الاجتماعى مجالا حيويا للتعاون ما بين علمى الاجتماع والنفس ، وسنحاول هنا أن نلقى بعض الضوء على هذا المجال من خلال النقاط المحددة الآتية :

*

أولا ــ التوجيه الاجتماعى :

التوجيه الاجتماعى هو أحد الفروع النظرية والتطبيقية لعلم الاجتماع ، وهو يهتم أساسا بكيفية **توجيه** الأفراد والجماعات والمجتمعات مع أو ضد **هدف معين** .

ومن الطبيعى أن تختلف الأهداف وأن تتعدد وذلك طبقا للسياسات التوجيهية العامة للدولة أو للمجتمع .

فقد يكون الهدف **تجميع** مختلف فئات البنيان الاجتماعى حول قيمة معينة أو حول مشروع قومى ما . أو قد يكون الهدف **خلق** رأى شعبى أو قومى مع أو ضد موضوع ما ، أو قد يكون الهدف **اعلام**

أفراد المجتمع بكيفية استثمار أوقات الفراغ أو بتوعيتهم بمضـــار التدخين أو بخطر الأفكار المستوردة ، أو تعريفهم بكيفية التعامل مع أجهـــزة الخدمات أو ايضاح طرق المساهمة فى مشروع استثمارى معين ••• أو ••• أو ••• الخ •

ومن الطبيعى أن يكون ذلك التوجيه مخططاً وفاهما لمختلف فنـــون الاتصال وأساليبه ، فضلا عن ضرورة ارتكاز التخطيط التوجيهى على معلومات دقيقة وواقعية تتوافر له من خلال عمليات القياس الاجتماعى بكل فنونه وأساليبه ، حتى تتوافر لأهداف التوجيه وبرامجه أكبر قدر ممكن من النجاح •

هذا وللتوجيه الاجتماعى مجالات ومستويات ، والمقصود **بالمجالات** •• مختلف مجالات الحياة المجتمعية •• الثقافية ، الدينية ، العلمية ، الترويحية ، الاقتصادية ، الاستهلاكية ، الانتاجية ، القيمية ، والمهنية ••• الخ •

أما المقصـــود **بمستويات** التوجيه ، مستوى الاتصال ذاته ، بمعنى أن الاتصال قد يكون بالمجتمع العام كله أو بقطاع منه سواء أكان هذا القطاع قطاعا وظيفيا أو جغرافيا ، **وظيفيا** •• كتوجيه ربات البيوت أو النســـاء العاملات أو الطلبة ، أو عمال المصانع أو العمال الزراعيين أو الحرفيين أو الأطبـــاء ••• الخ ، أما المستوى **الجغرافى** •• فيقصد به المجال المكانى للتوجيه •• هل سيتم على مستوى القرية أو الحى ، أو المصنع أو المدرسة أو المدينة أو الاقليم أو المجتمع كله أو حتى على المســـتوى العربى أو الاسلامى أو العالمى * •

ولمـــا كانت عملية **التوجيـــه** تهدف كما سبق أن أوضحنا الى تحقيق أهداف معينة هى فى أساسها أهداف سلوكية ، بمعنى أن التوجيه الاجتماعى

(*) هناك مستويات أخرى للاتصال .. كالاتصال على المستوى الأفقى والاتصال على المستوى الرأسى ... الخ .

يستهدف تحقيق نوع من **التغيير** المرغوب فى اتجاه معين ، فانه يصبح من العسير على القائمين بالعملية التوجيهية أن يحققوا غايتهم بطرق عشوائية أو بالصدفة ، لأن التغيير الموجه فى سلوكيات أعضاء مجتمع الاتصال وأفعالهم انما يتم وفقا لعملية تخطيطية تأخذ فى اعتبارها مواقف وقيم وأهداف وثقافة وشخصية ، بل وتاريخ مجتمع الاتصال أيضا .

اذن السبيل المأمون أمام التوجيه الاجتماعى حتى يحقق أهدافه هو **العلمية** ، والعلمية التى نقصدها هنا هى اتباع المنهج العلمى سواء فى دراسة مجتمع الاتصال أو برنامج الاتصال ذاته ، مع عدم اغفال أن الكثير من برامج الاتصال قد تفشل لأن القائم بعملية الاتصال أو التوجيه ليس معدا بدرجة كافية لأداء مهمته خصوصا فى ظل الظروف النفسية المعقدة لمجتمعات الاتصال .

ومن هنا تبرز **الأرضية** المشتركة للتعاون ما بين علمى النفس والاجتماع فى مجال التوجيه الاجتماعى .

وتؤكد هذه الحقيقة دراسات كثيرة قام بها عدد من الرواد سواء فى مجال علم الاجتماع النفسى أو فى مجال علم النفس الاجتماعى [1] .

*

ثانيا ــ القياسات الاجتماعية :

المقصود بالقياس الاجتماعى Sociometry . هو الطريقة المستخدمة لتقدير وقياس نوعية العلاقات الاجتماعية داخل جماعة ما أو مجتمع من المجتمعات * .

(*) فسر بعض العلماء القياس الاجتماعى بأنه تعريف للمصطلح الانجليزى Sociometry ، حيث يعنى المقطع الأول Socio اجتماعى والمقطع الثانى Matry القياسى ، لذلك فان « السوسيومترى » يمكن أن يحل محل « القياس الاجتماعى » وبالعكس ، انظر دكتور فؤاد البهى السيد ــ علم النفس الاجتماعى ــ مرجع سابق ص ص ٢٥٩ ــ ٢٦٠ .

ومن العلماء من **يستثنى** من العلاقات موضوع القياس ، العلاقات التى تتصف بالرسمية ويقصرها فقط على ذلك النوع من العلاقات ذات الخصائص النفسية التى تنشأ بين أعضاء الجماعة أو المجتمع لتمكنهم من التفاعل الحر المباشر ولفترة زمنية كافية •

ومنهم من **يوسع** دائرة القياس الاجتماعى ويعتبره علما ويرى بأنه ينطوى من حيث موضوعه وفحواه على مجموعة البحوث المتصلة بترشيد وتنظيم الجماعات وتطويرها على أساس من الدراسة التجريبية للعلاقات الاجتماعية ، وعليه فان القياس الاجتماعى يهتم بدراسة شخصية الانسان الاجتماعية عن طريق معرفة نسيج علاقاته بالآخرين [٢] •

ومن العلماء من **يقصر** دور القياس الاجتماعى على « دراسة العلاقات الموجودة بين الأفراد مع الاهتمام خاصة بقياس مدى الجذب والرفض أو النفور بين هؤلاء الأفراد داخل بنيان مجموعتهم » •• [٣] ، ومنهم من **يعتقد** كذلك بأن القياس الاجتماعى ان هو الا محاولة للربط بين نظرية البناء غير الرسمى للمجتمعات والجماعات الانسانية ، ومناهج البحث المستخدمة فى دراسة ذلك البناء •

ومنهم من **يزيد** على ذلك فيرى أن بحوث القياس الاجتماعى ذات غاية تطبيقية حيث تهدف بالدرجة الأولى الى علاج ما يصيب العلاقات — باعتبارها موضوع القياس — من ضعف أو مرض من خلال ما يعرف بالطب العقلى •• [٤] •

ومنهم من يرى أن ميدان القياس قد اتسع حتى كاد أن يستغرق **أغلب** نواحى القياس فى علم النفس الاجتماعى وعلم الاجتماع [٥] •

* موضوعات القياسات السوسيومترية :

حتى لا تأخذنا المصطلحات الفنية بعيدا نحب أن نوضح أن القياس

السوسيومترى بتعبير بسيط ، هو **اختبار** يضم مجموعة من الأسئلة التى تستوضح المبحوث عن مدى قبوله أو رفضه للجماعة التى ينتمى اليها وذلك من خلال مواقف اجتماعية مختارة ومحددة بدقة ، كما أن الاستجابة التلقائية من المبحوثين نحو عملية الاختبار هى التى تحدد نجاح أو فشل الاختبار السوسيومترى ذاته * .

وعلى كل اذا ما أردنا **تحديدا** سريعا لموضوعات القياس السوسيومترى لوجدنا أنها تضم كلا من .. الشخصية ، القيادة ، الادراك الاجتماعى وانتاجية الجماعة ، وأخيرا قياس الاتجاهات والاهتمامات والقيم .

وليست هذه وحدها هى موضوعات القياسات السوسيومترية ، بل نشأت الى **جوارها** موضوعات كثيرة ، منها ما هو اختبارى .. كاختبار صحة نظرية معينة ** ، ومنها ما يعنى بتحديد مدى سيطرة نماذج ثقافية

(*) من اشهر الطرق للاختبارات السوسيومترية ، طريقة مورينو ، التى ترتكز على اعداد بعض الأسئلة التى تعبر عن بعض المواقف الاجتماعية الواضحة فى حياة الأفراد تسألهم عن اختياراتهم أو رفضهم بالنسبة لهذه المواقف ، وحتى ينجح الاختبار اشترط مورينو عدة شروط من أهمها تحمس أعضاء الجماعة محل الاختبار ، واختيار الموقف الاجتماعى الذى يعبر فيه أعضاء جماعة الاختبار عن ذاتيتهم ، وصياغة الأسئلة بطريقة فنية ودقيقة ، مع اعطاء تعليمات مصاحبة للاسئلة توضح كيفية التعامل معها ، هذا وقد اسس مورينو معهدا للقياس الاجتماعى فى نيويورك ولهذا المعهد دور بارز فى بحث المشاكل الخاصة بالعلاقات الاجتماعية واقتراح احسن السبل لترشيد الجماهير .

(**) استخدمت القياسات السوسيومترية كمحك لاختبار مدى صحة نظرية « الكمون الجنسى » التى صاغها فرويد ، حيث انتهت الاختبارات السوسيومترية الى صحة تلك النظرية بعد أن اتضح — من الاختبارات — أن الأطفال من سن ٨ — ١٣ عاما يتجهون فى اختياراتهم للجنس المماثل بينما يعزفون عن الجنس المضاد ، بينما اثبتت الاختبارات أن من يزيد عمرهم على ثلاثة عشر عاما يتجهون اتجاها حرا فى علاقاتهم دون ارتباط أو تقيد بالفروق الجنسية القائمة ، انظر :

دكتور فؤاد البهى السيد — علم النفس الاجتماعى — مرجع سابق ص ٢٦٣ .

معينة ، وأنماط اجتماعية بعينها على العلاقات الانسانية ، الى غير ذلك من الموضوعات .

* **نماذج للدراسات السوسيومترية :**

(١)

دراسات البنية الاجتماعية للجماعات والمجتمعات المحلية :

أكد لندبرج Lundberg وهو أحد رواد الوضعية الحديثة فى علم الاجتماع — خلال مؤلفه الشهير « البحث الاجتماعى » الذى أصدره عام ١٩٤٢ ، أكد على أن القياس الكمى — وهو يقصد بذلك القياس السوسيومترى — يعد **ضروريا** اذا ما أراد علم الاجتماع أن يتقدم وأن يقدم وصفا وتحليلا أكثر دقة للظاهرة المبحوثة .

وكان ليندبرج قبل أن ينتهى الى هذا الرأى قد قام علم ١٩٣٧ باجراء دراسته الواسعة لسكان احدى القرى الأمريكية التى تضم ٩٤٠ شخصا ، واستهدف لندبرج من دراسته تلك معرفة درجة **الارتباط** ما بين العلاقات الاجتماعية داخل مجتمع القرية وبين أعمار أفراد العينة ومستوياتهم الاجتماعية والاقتصادية فضلا عن عيوبهم الجسمية أو الخلقية ان وجدت .

وانتهى لندبرج من خلال تفسيره لأنواع التجمعات الانسانية وفقا للأسس السوسيومترية التى اتبعها ، انتهى الى أن **الجماعة** ما هى الا « طاقة مرتبة منظمة بطريقة محددة ، تسبح فى مسالك متداخلة ومتشابكة ، وتضم — أى الجماعة كطاقة — الفرد ومجاله النفسى ، وتنفذ الى أعماق الشخصيات بدرجات مختلفة ، كما تتباين تلك الطاقة من حيث سعتها وقوتها علاوة على تباينها من حيث الاتجاه والمدى الزمنى » .. (٦) .

هذا ولقد فتحت **مبادرة** ليندبرج هذه الباب أمام عدد غير قليل من علمـاء الاجتماع — هم المنتمين الى الاتجاه الوضعى الحديث فى علم

الاجتماع اليوم * — فتحت الباب أمام هؤلاء لدراسة البنيات الداخلية للجماعات والمنظمات فى تفاعلاتها المباشرة مستخدمين فنـــون وأساليب القياسات السوسيومترية (٧) .

(٢)

دراسات الشخصية والقيـــادة :

يعتبر موضوعا الشخصية والقيادة من الموضوعات الأساسية فى مجال البحث السوسيومترى ، حيث حظيا باهتمامات كثير من العلماء والباحثين سواء منهم النفسيين أو الاجتماعيين ** . وسوف نحاول فى هذه العجالة أن نلقى بعض الضوء على كل منهما فى اطار من التناول السوسيومترى لكل منهمـــا :

*

(أ) الشـــخصية :

تعددت تعريفات الشخصية Personality واختلفت تبعا لاهتمامات وتخصصات من تعرضوا لتعريفها ، فعلماء النفس تراوحت تعريفاتهم ما بين اعتبار الشخصية « تركيبا نفسيا معقدا » أو « هى قوة مركزية داخلية توجه الفرد وتسيطر على حركاته وسكناته » ، أو هى « حاصل جمع كل الاستعدادات والميول والغرائز والدوافع والقوى البيولوجية النظرية الموروثة ، وكذلك الاستعدادات والميول المكتسبة من الخبرة » ، أو هى « التكوين المنظم أو الوحدة العامة الناتجة من العـــادات والاستعدادات والعواطف التى تميز فردا عن المجموع وتجعل منه وحدة مختلفة عن باقى المجموعة التى ينتمى اليها » .

(*) انظر حول الوضعية الحديثة واسهاماتها كتابنا — معالم الفكر السوسيولوجى المعاصر — مرجع سابق — ص ص ١٣٥ — ١٤٠ .

(**) لم تقتصر دراسة الشخصية على علمى الاجتماع والنفس فقط بل شاركهما فى ذلك علم الأنثربولوجيا وعلم الجريمة أيضا .

ومن علماء النفس الاجتماعى من **يرى** أن الشخصية هى « تكامل مجموعات العادات التى تمثل خصائص الفرد فى تعامله مع المجتمع » ، أو هى « التنظيم الديناميكى فى نفس الفرد لتلك الاستعدادات الجسمية النفسية التى تحدد طريقته الخاصة للتكيف مع البيئة » .. [٨] .

بينما يرى علماء **الاجتماع** والأنثربولوجيا أن الشخصية هى « تنظيم يقوم على عادات الشخص وسماته ، وتنبثق من خلال العوامل البيولوجية والثقافية » .. [٩] ، أو هى « تكامل نفسى واجتماعى للسلوك عند الكائن الانسانى ، وتعبر عن هذا السلوك عادات الفعل والشعور والاتجاهات والآراء » .. [١٠] ، أو هى « مجموعة قيم الشخص » أو « أنها كاصطلاح تشير الى .. العادات والاتجاهات والسمات الاجتماعية الأخرى التى تميز سلوك معين » .. [١١] .

أو هى تعنى « ذلك النظام الكامل من النزعات الثابتة نسبيا الجسيمة والنفسية ، التى تميز فردا معينا ، والتى تقرر الأساليب المميزة لتكيفه مع بيئته المـادية والاجتماعية » * .

وعلى كل نحن لا نريد أن نسترسل مع **التعريفات** التى حاولت أن تحدد هوية الشخصية ، لأن الذى يعنينا فى هذا المجال .. هو ما أوضحته التعاريف السابقة من أن الشخصية بقدر ما هى نتاج للعديد من المكونات النفسية والثقافية والبيئية وحتى البيولوجية ، فانها تعتبر أيضا أداة التفاعل الاجتماعى ووسيلة الفرد للتأثير المتبادل بينه وبين بيئته المجتمعية التى يحيـا فيهـا ** .

(*) هذا التعريف شبه متفق عليه للشخصية من طرف كثير من علمـاء النفس ، انظر فى ذلك :

دكتور أحمد زكى صالح — علم النفس التربوى — مرجع سابق ص ص ٥٠٦ — ٥٠٧ .

(**) انظـــر :

دكتور صلاح الفوال — علم الاجتماع .. المفهوم والموضوع والمنهج — مرجع سابق — ص ص ١١٧ — ١٢٥ ، لتأخذ فكرة أوضح عن الشخصية كموضـوع أساسى من موضوعات الدراسة فى علم الاجتماع .

ومن نقطة **التفاعل** الاجتماعى بالذات يمكن قياس الشخصية من خلال دراسة السلوك البشرى الموجه عن طريق الشخصية وبواسطة أى من فنون السوسيومترية المتعارف عليها [١٢] .

*

(ب) القيـــــــادة :

القيادة Leadership ؛ من الموضوعات التى حظيت باهتمامات عديدة وكثيرة خصوصا ما تعلق منها بمفهوم « الزعامة » ، ولقد تراوحت الاهتمامات بالقيادة من مختلف زواياها سواء كظاهرة اجتماعية أو كعملية سيكلوجية بكل ما تضمه من ديناميات ، هذا فضلا عن الاهتمام بمختلف التأثيرات سواء تلك الناتجة عن القيادة أو تلك المتسببة فيها [١٣] .

هذا ولقد تراوحت **تعريفات** القيادة أو الزعامـــة تبعـــا لاهتمامات الباحثين ، حيث نجد أن بعضهم يرى فى الزعامة « ذلك العمل الذى عن طريقه يمكن توجيه سلوك فرد أو أكثر » أو الزعيم هو « ذلك الفرد الذى يحدث أثرا فى الآخرين ويختلف عنهم فى درجة التأثير التى يحدثها » ، أو أن القائد هو « الفرد الذى له من القدرة والامكانيات ما يمكنه من أن يوحى للآخرين بالثقة فيتصرفون ويفكرون بالطريقة التى يراها هو » .

ثم أصبحت تعاريف القيادة أو الزعامة أكثر **علمية** ابتداءا من تعريف رالف ستوجديل والذى توصل اليه من خلال الدراسة التى أعدها عن « القيادة والعضوية والتنظيم » عندما اعتبر القيادة هى « عملية تؤثر فى نشاط جماعة منتظمة من أجل تحقيق هدف معين أو ارساء قواعد هذا الهـــدف » .

كان ذلك عن القيادة فماذا عن القائد ؟ .. يقول ستوجديل أن القـــائد هو « شخص مغاير تماما لباقى الأفراد الآخرين بالنسبة للنفوذ الذى يمارسه بشأن تحديد هدف المنظمة والعمل على تحقيقه » .. [١٤] .

أما Tead فقد عرف القيادة فى كتابه « فن القيادة » بأنهـــا « القـــدرة على التأثير فى جماعة حتى تتعـــاون لتحقيق هـــدف تشـــعر بحيويته » •• (١٥) •

أما Bigars فيرى أن القيادة هى « عملية تأثير متبادل ، يؤدى عن طريق تضامن الأفراد رغم الفروق بينهم ، الى توجيه النشاط الانسانى سعيا وراء مسألة مشتركة » (١٦) •

وعلى كل سوف نكتفى بهذا القدر من تعريفات الزعامة والقيادة ، ولو أننا نحب أن نوضح أن **المستخلص** النهائى من كل تلك التعاريف السابقة يبرز أن القيادة هى تأكيد لدور مبرز فى موقف اجتماعى معين يســـعى لتحقيق هدف مشترك ، ومادام هناك دور أى سلوك انسانى متفاعل لتحقيق هدف ما ، فان الأمر يمكن أن يكون محل اهتمام القياسات الاجتماعية التى تحدد خصائص ومقومات كل من القيادة والزعيم وتعبر عنهـــا كميـــا أو سوسيومتريا (١٧) •

وعلى كل فليست الشخصية ولا القيادة الا **مثالين** لتوضيح مجال البحث السوسيومترى كأحد المجالات الخصبة للتعاون المشترك ما بين علم الاجتماع والنفس ، وانما هناك عشرات الموضوعات الأخرى كما سبق لنا القول * (١٨) •

(*) يوجد نوع آخر من القياس هو « القياس العقلى » وبغير أن ندخل فى تفاصيله الطويلة والمرهقة نوضح أن القياس العقلى كما هو واضح خاص بقياس النشاط النفسى الذى يعتمد على المعرفة والادراك ، أو هو يقيس على وجه التحديد .. الذكاء فى مراحل النمو المختلفة ووفقا لاختبارات مقننة ومتفق عليها .

هذا ومن أشهر علماء القياس العقلى Alfred Binet ومساعده Simon اللذين يعود لهما الفضل فى ظهور أول مقياس للذكاء عام ١٩٠٥ ، هذا وتعبر المعادلتين الرياضيتين الآتيتين عن مقياس « بينيه » للذكاء فى آخر صوره والذى يستخدم حتى اليوم للتعرف على نسبة الذكاء . =

. . . . . .

$$= \text{نسبة الذكاء} = \frac{\text{العمر العقلى}}{\text{العمر الزمنى}} \times ١٠٠$$

$$\text{او ن . ذ} = \frac{\text{ع . ع}}{\text{ع . ز}} \times ١٠٠$$

هذا وتوجد مجموعة هائلة من الاختبارات التى تقيس القدرة العقلية ، ومنها ما هو لفظى — أى يعتمد على اللغة والألفاظ — ومنها ما هو غير لفظى — أى لا دخل للغة فيه الا باعتبارها وسيلة تفاهم فقط — كما تقسم الاختبارات اللفظية الى فردية وجماعية وتشاركها فى ذلك الاختبارات غير اللفظية وان كانت تتميز عليها بنوع آخر عرفه « بلختبارات المواقف » ، ويقصد بها كشف قدرة المختبر على التصرف فى مواقف معينة وفقا لما يتمتع به من ذكاء عملى .

* * *

المصـــادر والتعليقـــات

١ ـــ انظر نماذج لهذه الدراسات ضمن المؤلفات الآتية :

(أ) الدراسة التى قدمها Duprés ضمن مؤلفه Le Rapport Social والذى أصـــدره فى Paris عام ١٩١٢ ، وتناول خلاله العلاقات الاجتماعية بقسميها الايجابى والسلبى .

(ب) الدراسة التى قدمها جورج سيمل ، والتى أوردها Ginsber ضمن مؤلفه عن Sociology الذى أصدره عام ١٩٣٤ ، ونادى خلالها بضرورة الاهتمام بدراسة العلاقات الاجتماعية من خلال وظائفها ومظاهر تجسدها فى الواقع الاجتماعى .

(جـ) الدراسة التى قدمها جورج سمنر W. G. Sumner ضمن كتابه : Forkways Baston, Gimn & Com والذى صدر عام ١٩٠٦ ، حيث ميز خلالها بين ما سماه بالعلاقات المجمعـــة Associative ومن أمثلتها ـــ روابط الأخوة ، التعاون والتماسك واتحاد الهدف والمصالح . وبين ما أسماه بالعلاقات المفرقة Dissociative التى تعبر عن مواقف الأفراد ومشاعرهم حيـــال افراد وجماعات خارجية عنهـــم .

(د) دراسات عديدة لمـــاكس فيبر وغيره والتى يمكن أن تجد عرضا وافيا لبعضها ضمن مؤلفنا عن « معالم الفكر السوسيولوجى المعاصر » السابق الاشارة اليه .

(هـ) دراسات رواد علم الاجتماع النفسى ضمن :
Nicholas S. Timashiff, Sociological Theory; New York, 1967.

(و) انظر أبحاث Tarde ضمن كتبه La Lagique Social ، Social Laws Laus of imitation ،والمنوه عنها فى :
دكتور أحمد الخشاب ـــ الارشـــاد الاجتماعى ـــ مكتبة القاهرة الحـــديثة ـــ القـــاهرة ـــ غير موضـــح ســـنة النشر ص ص ١٣٠ ـــ ١٣٤ .

حيث تتسم اسهامات تارد بدعوته لضرورة تفسير الحياة الاجتماعية ببعض الظواهر الاجتماعية ، مع ابرازه لأهمية دراسة العمليات الاجتماعية خصوصا المحاكاة والمعارضة والتقليد المضاد والاختراع .

٢ — للاستزادة انظر :

(أ) دكتور فؤاد البهى السيد — علم النفس الاجتماعى — مرجع سابق .

(ب) دكتور أحمد الخشاب — الارشاد الاجتماعى — مرجع سابق .

(جـ) دكتور سعد عبد الرحمن — أسس القياس النفسى والاجتماعى — مكتبة القاهرة الحديثة — القاهرة — ١٩٦٧ .

٣ — انظر جورج جورفيتش فى :

(أ) دكتور أحمد الخشاب — الارشاد الاجتماعى — مرجع سابق — ص ص ١٠٥ — ١٠٦ .

(ب) دكتور صلاح الفوال — معالم الفكر السوسيولوجى المعاصر — مرجع سابق ص ص ١٢١ — ١٢٨ .

٤ — دكتور أحمد الخشاب — الارشاد الاجتماعى — مرجع سابق — ص ١٠٦ .

٥ — دكتور فؤاد البهى السيد — علم النفس الاجتماعى — مرجع سابق — ص ٢٥٩ .

٦ — للاستزادة انظر :

(أ) G. A. Lundberg; Social Reseerch, 2nd., New York, Longmans, Green, 1922, p. 24.

(ب) دكتور صلاح مصطفى الفوال — علم الاجتماع البدوى — مرجع سابق ص ٤١ .

(جـ) Q. A. Lundberg; Social Attraction, Patterns in a rural village, Sociometry, 1937, 1, pp. 77-79.

٧ — من أوضح الأمثلة على تلك الدراسات ما قام به كل من لوميس ودافيد سن خلال بحثهما المنشور عام ١٩٣٩ عن العلاقات الاجتماعية بين سكان عدد من القرى الأمريكية ، وما قام به هوايت عن العصابات فى البحث الذى نشره عام ١٩٤٣ ، للاستزادة انظر :

(أ) Loomis, G. P. & Davidson, D. D, Sociometries and the study of new rural communities. Sociometry, 1939, 2, pp. 58-76.

(ب) Whyte, W. F. Street Corner : Society : The Social Structure of an Italian Slum. Chicago, Univ. of Chicago Press, 1943.

وما قام به جاكوب مورينو Moreno من دراسة دينامية دقيقة لقوانين التطور الاجتماعى والعلاقات الاجتماعية من خلال دراسته للبناء الداخلى للجماعات الاجتماعية ، علاوة على دراسته للأشكال المعقدة التى تنشأ عن قوى . . الجذب والنفور بين اعضاء الجماعات ، هذا وقد استخدم مورينو القياس الاجتماعى لدراسة الجماعة ككل وبحيث نظر الى كل جزء منها فى ضوء علاقته بالكل ، وفى نفس الوقت نظر الى الكل فى ضوء علاقته بمختلف الأجزاء المكونة له ، ومن رأى تيماشيف أن القياس الاجتماعى يهتم بدراسة العلاقات التى تنشأ بين الأفراد ، بينما تترك دراسة الأفراد أنفسهم الى علم النفس ، للاستزادة حول القياس الاجتماعى انظر — تيماشيف — الترجمة — الطبعة الثانية — مرجع سابق ص ص ٤٠١ — ٤١٠ .

٨ — للاستزادة حول هذه التعريفات للشخصية من وجهة نظر علم النفس انظر : دكتور محمد خليفه بركات — تحليل الشخصية — مكتبة مصر — القاهرة — ١٩٥٧ ص ص ١ — ١٠ .

٩ — Biesanz; Modern Society, New York, 1954, p. 178.

وانظر ايضا شرحا وافيا لهذا التعريف فى :
دكتور محمد عاطف غيث — دراسات انسانية واجتماعية — مرجع سابق — ص ص ٩٢ — ٩٣ .

١٠ — Ogburn & Nimkoff; A Handbook of Sociology, London, 1960, p. 191.

١١ — Lundberg and others, Sociology, New York, 1958 pp. 205-206.
Odmard Tead, The Art of Leadership, p. 16.

١٢ — انظر أمثلة لهذه الفنون ضمن :

(أ) دكتور فؤاد البهى السيد — علم النفس الاجتماعى — مرجع سابق .

(ب) دكتور سعد عبد الرحمن — اسس القياس النفسى الاجتماعى — مرجع سابق .

١٣ — يمكن للقارىء أن يأخذ فكرة أوضح عن القيادة وأنماطها وتأثيراتها المختلفة سواء كظاهرة او كسلوك لو عاد لأى من كتبنا الآتية :

(أ) الخدمة الاجتماعية والميثاق — مكتبة القاهرة الحديثة — القاهرة — ١٩٦٣ ص ص ٤٦ — ٤٩ ، ص ص ٣٠٠ — ٣١١ .

(ب) البداوة العربية والتنمية — مرجع سابق ص ص ٢٦٠ — ٢٧٥ .

(جـ) تنمية المجتمعات للصحراوية — اسس نظرية — مرجع سابق ص ص ١٤٦ — ١٥٢ .

١٤ — انظر شرحا وافيا لهذا التعريف فى :
دكتور صلاح الفوال — البداوة العربية والتنمية — مرجع سابق ص ص ٢٦١ — ٢٦٣ .

١٥ — Odward Tead, The Art of Leadership, p. 16.

١٦ — T. W. Pigars, Leadership or Domination, p. 16.

١٧ — انظر امثلة لهذه الدراسات ضمن :
دكتور سعد عبد الرحمن — اسس القياس النفسى — مرجع سابق — ص ص ٢١٦ — ٢٨٢ .

١٨ — عن القياسات العقلية واختبارات الذكاء انظر :

(أ) Burt, C. Mental and Scholastic Tests, P. S. King & Son, Ltd., 1921.

(ب) Spearman, C. E. The abilities of Man : Their Nature and Measurement, The Macmillan Co., 1927.

(جـ) Thorndike, E. L. The Measurement of Intellgence, Teachers College, Bureau of Publications, 1927.

(د) Wood. B. D. Measurement in Higher Education, World Book Company, 1923.

(هـ) Arthur I. Gates, Arthur T. Jersild, T. R. McConnell, Robert C. Challman; Educational Psychology; The Macmillan Company, 1948.

المبحث الخامس

علم النفس الاجتماعى ٠٠ الماهية والموضوع

* ماهية علم النفس الاجتماعى ٠
* اهتمامات علم النفس الاجتماعى وموضوعات الدراسة فيه ٠
* الروح المعنوية كمثال لموضوعات دراسة علم النفس الاجتماعى ٠

* * *

* ماهية علم النفس الاجتماعى ؟ ! ٠٠

تتشابه التعريفات التى حاولت تحديد **هوية** علم النفس الاجتماعى ، فمنها من يرى فيه « محاولة لفهم وتوضيح كيفية تأثر أفكار الفرد ومشاعره وسلوكه فى وجود الآخرين سواء أكان ذلك الوجود ، وجودا فعليا أو متصورا » ، ومنها ما يرى أنه « العلم الذى يدرس سلوك الفرد فى المجتمع » أو هو « العلم الذى يدرس سلوك الانسان بوصفه متأثرا أو مشكلا أو محدودا بالبيئة الاجتماعية » ، أو هو « الدراسة العلمية لخبرة الفرد وسلوكه فى علاقاته بالمواقف الاجتماعية » أو هو « العلم الذى يهتم أساسا بجوانب السلوك الاجتماعى التى تظهر عندما يحتك الناس ببعضهم فى علاقات اجتماعية ظاهرة » ٠٠ [١] ٠

*

اهتمامات علم النفس الاجتماعى وموضوعات الدراسة فيه :

وفى محاولة من جانب علماء النفس لتوضيح **اهتمامات** كل من علم النفس وعلم الاجتماع ، وصولا الى أرضية مشتركة بينهما ، يقررون أن علم **النفس** يهتم بدراسة امكانيات السلوك الانسانى ، فضلا عن سعيه للتعرف

على الفرد من خلال مختلف العمليات النفسية كالذكاء والانفعالات والتعلم والقدرات والدوافع والتوتر ، أى أن علم النفس يسعى للتعامل مع **الفرد** بعيدا عن المؤثرات الاجتماعية والثقافية ، مع الأخذ فى الاعتبار أن الفرد **هو وحدة** الدراسة فى مجال علم النفس .

أما علم **الاجتماع** — من وجهة نظر نفسية — فانه يهتم بدراسة العادات والنظم الاجتماعية فضلا عن النتاج الحضارى سواء أكان ماديا أو غير مادى ، مع مراعاة أن وحدة الدراسة فى علم الاجتماع هى **المجتمع** .

أما عن دور علم النفس الاجتماعى ، فهو لا يركز فى دراسته على الفرد فحسب ولا على الجماعات والنظم الجماعية فقط ، بل ينصب اهتمامه بصفة أساسية على الطريقة التى **يتفاعل** بها الفرد مع بيئته .

وهذا معناه — من وجهة نظر علماء النفس — أن علم النفس الاجتماعى **يقف موقفا وسطا** ما بين علم النفس وعلم الاجتماع ، فاذا كان الفرد هو محور اهتمام علم النفس ، وكان المجتمع هو محور اهتمام علم الاجتماع ، فان الفرد فى المجتمع يشكل وحدة الدراسة بالنسبة لعلم النفس الاجتماعى ، بينما تشكل الأنماط المختلفة للسلوك مادة الدراسة فيه .

كما يؤكد علماء النفس الاجتماعى أنه لا يكتفى فقط بدراسة **العلاقات** الداخلية من خلال دراسته لعمليات التفاعل الاجتماعى ، وانما يهتم أيضا بدراسة **الشخصية** كمنتج أو ناتج نهائى لتلك العمليات . وذلك من خلال مفهوم محدد للشخصية باعتبارها **سمات** للسلوك والاتجاهات الشائعة عند معظم الأشخاص ، فضلا عن عملية نمو تلك السمات والاتجاهات .

ويضيف علماء النفس الاجتماعى أنه يهتم بدراسة الحاجات الأساسية للانسان باعتباره كائنا اجتماعيا حضاريا ، كما يدرس مختلف

الطرق التى بواسطتها يشبع حاجاته الفطرية والمكتسبة من خلال ذلك التفـــاعل .

وفى تحـــديد أكثر لمهمة علم النفس الاجتماعى فى المجتمع ، يرى علماء النفس ، أن علم النفس الاجتماعى يحاول التعرف على الملامح العامة للسلوك **الاجتماعى** التى تشيع بين الناس فى كل الحضارات ، ويعتبرون أن نقطة انطلاق علم النفس الاجتماعى ليست هى الفرد أو النظـــم الاجتماعية فقط ، بل هى الفرد من خلال **علاقتـــه** بالمجتمع الذى يحيا فيـــه (٢) .

*

بعض اهتمامات علم النفس الاجتماعى :

سنتعرض هنا بايجاز لموضوع محدد من الموضوعات التى يهتم بها علم النفس الاجتماعى ، ونعنى به موضوع الروح **المعنوية** وذلك على اعتبار أننا سبق لنا أن تناولنا العديد من الموضوعات التى يهتم بها علم النفس الاجتماعى فى الصفحات السابقة .

*** الروح المعنـــــوية :**

الروح المعنوية من الموضوعات التى تحظى باهتمام علماء النفس الاجتماعى وغيرهم من العلماء فى العديد من مجالات **بحث العلوم الانسانية** ، لكن ما هو المقصود منها وكيف تتحقق ولمـــاذا تقوى أو تضعف داخل جماعة ما ... الخ ، كل هذه أسئلة يقع بحثها ومن ثم الاجابة عليهـــا ضمن نطاق علم النفس الاجتماعى وعلى النحو الآتى :

١ ــ ما هى الروح المعنـــوية ؟ ! ...

يقصد بها درجة تماسك الجماعة وتوحدها حول مركز واحد أو بؤرة اهتمام واحدة ، وسواء أكانت هذه **البؤرة** أو ذلك المركز شخصا أو هدفا ،

فان التوحد * أو التوحيد كعملية **سيكولوجية** هو الذى يجمع أو يوحد كل الأعضاء اما نحو الهدف الأسمى للجماعة واما ليرى كل شخص أنه ذلك الزعيم الموحد للجماعة فيعمل على لم شملها وبالتالى على تحقيق أهدافها وللدرجة التى تجعل ذلك الفرد يفكر بعقل الجماعة ويتكلم بلسانها •

٢ ــ مقــومات الروح المعنــوية :

ترتكز الروح المعنوية على عدة مقومات ، لعل من أهمها •• أن تكون من داخلها **متماسكة** ، لأن الاكتفاء بمجرد التكاتف ازاء الضغوط الخارجية لا يعبر عن وجود الروح المعنوية ، لأنه من المفروض فى كل الجماعات أن تتكاتف لرد الخطر الخارجى أيا كانت روحها المعنوية ، لكن تماسك الجماعة الداخلى يشكل أساس الروح المعنوية لديها ودليل توحدها سواء أكان هناك خطــر خارجى يتهددها أم لا •

ومن تلك المقومات أيضا ، أن تبتعد الجماعة عن **الاحتكاكات** الداخلية ، لأن تلك الاحتكاكات تعتبر دليل انقسام وعلامة انخفاض للروح المعنوية ، لأن الروح المعنوية العالية تؤدى الى ضعف الفردية وتهيىء المناخ الصالح لعملية التوحد أو التوحيد داخل الجماعة ، وبحيث يكون دور كل فــرد خلالها مكملا لدور الآخر •

ومن سمات الروح المعنوية أيضــا ، قدرة الجمــاعة على **التكيف** ازاء الظروف المتغيرة التى تواجهها . لأنه من سمات الروح المعنوية العالية قدرة الجماعة على تعــديل اتجاهاتها كوحدة واحدة ازاء ما يواجهها من ظروف ، أما الجماعات ذات الروح المعنوية المنخفضة فان تماسكها يرتبط بظروف خاصة ، ثم ما يلبث تماسكها أن يزول بمجرد زوال تلك الظروف •

(*) عملية التوحد يقصد بها ان يرى الشخص نفسه كما لو كان القائد أو النظام او السلطة • ويعيش فى شخصيات وتصرفات القائد او ممثلى النظام او السلطة ، ويرى فى نجاحهم أو فشلهم نجاحا أو فشلا شخصيا له .

ومن تلك السمات ما يكمن فى الروح المعنوية ذاتها باعتبارها مصدر **جـذب** للجماعة والقـوة الدافعة لها نحو هدف معين ، ويميل كثير من علماء النفس الاجتماعى نحو وصف الروح المعنوية بأنها مصدر **الجـذب** المغناطيسى الذى يشد الجماعة نحو الترابط والتوحد .

والى جوار كل ما سبق تلعب **الأهداف** الايجابية التى تسعى الجماعة الى تحقيقها ، تلعب تلك الأهداف دورا حيويا ليس فقط فى توحد الجماعة ولكن فى سبيل تدعيم العلاقات بين أعضائها وطبعها بطابع الاستمرار أيضـا * .

هذا ومن أهم الأهداف الايجابية للجماعات العمل على **اشـباع** الاحتياجات المتعددة لأعضائها ، ولعل من أهم تلك الاحتياجات المرتبطة بموضوع الروح المعنوية ، حاجة الفرد الى **التبعيـة** علاوة على حاجته لأن يكون له **دور** فعـال داخل الجماعة يمكنه من خلاله أن يقوم بعمل ما من أجل تحقيق غايات الجماعة وزيادة وحدتها وتماسكها .

ومن المهم أيضا استمرار كل تلك المقومات من خلال رغبة الأعضاء الذاتيـة فى استمرار انتمائهم للجماعة ورسوخ قناعتهم بأهدافها وقيادتها .

٣ ـ كيف تقـوى الروح المعنـوية ؟ ! ...

تتصف الجماعة بأنها ذات روح معنوية منخفضة ، اذا ما فقدت أيا من المقومات التى أشرنا اليها قبلا ، أو بمعنى آخر .. اذا كان من السهل

(*) يرى عدد من علماء النفس الاجتماعى أن الأهداف الموحدة للجماعات والمؤثرة فى روحها المعنوية قد لا تكون ايجابية على طول الخط ، حيث قد تكون تلك الأهداف أو بعضها أهدافا سلبية كالحرب أو الثأر ومع هذا تتوحد الجماعات حولها ، الا أن الأهداف السلبية قد لا تجعل الروح المعنوية أكثر استمرارا ، حيث أثبتت دراسات كثيرة أن الروح المعنوية للجنود تضعف أو تقوى أثناء الحرب طبقا لمدى وضوح الأهداف الايجابية التى يحاربون من أجلها سواء أكانت هذه الأهداف أهدافا ذاتية أو مجتمعية .

أن تتعرض تلك الجماعة الى التفكك **والانقسام** الى جماعات داخلية أصغر بمجرد زوال الظروف الخارجية التى أدت الى توحدها أو تماسكها فى الماضى •

لذلك فانه من أوجب الأمور لقوة الروح المعنوية واستمرارها أن تستشعر الجماعة ككل . ويستشعر كل أعضائها من خلالها أن لهم هدفا أو **أهدافا** ايجابية يسعون الى تحقيقها •• ويرى علماء النفس الاجتماعى أن الأفراد كلما أحسوا بأن الجماعة تعمل على **اشباع** احتياجاتهم الأساسية من جهة . وتؤكد على **ذاتياتهم** من جهة أخرى •• فان هذه الجماعة تكون أقدر على الاحتفاظ باستمرار توهج الروح المعنوية لدى أعضائها •

لكن هل تكفى الأهداف كمجرد وجود رمزى لقوة الروح المعنوية واستمرارها •• أم لابد من وجود احساس حقيقى لدى الأعضاء بأنهم يحققون أهدافهم واحدا تلو الآخر ؟ ! •

لاشك أن وجود ذلك الاحساس ضرورى •• لأن **النجاح** يؤدى الى مزيد من النجاح . والفشل فى تحقيق الأهداف يقود الى **الاحباط** ، ويرى علماء النفس الاجتماعى أن النجاح أو الفشل من خلال التجارب السابقة هما اللذان يحددان مستوى طموحات الشخص ويحددان بالتالى احساسه بمدى قدرة الجماعات التى ينتمى اليها على تحقيق اشباع لاحتياجاته وأهدافه ، وهذا « **الاحساس** » هو ما نعنيه بالضبط بالروح المعنوية ، لأن احساس الفرد بالنجاح أو الفشل فى اشباع احتياجاته من خلال الجماعة هو الذى يحدد مستوى طموحه وبالتالى يحدد ايجابا أو سلبا مدى روحه المعنوية * •

(*) الأمثلة كثيرة على ما يمثله النجاح المطرد فى تحقيق أهداف الجماعة كدافع لرفع الروح المعنوية لدى أعضائها ، فالانتصار المستمر على المستعمر او =

٤ ــ هل الروح المعنوية وحدها المسئولة عن تماسك الجماعة ؟ ! ...

قد تكون الروح المعنوية القوية صورة من **صور** تماسك الجماعة أو أحد روافدها ، لكن قد يكون العكس أيضا هو الصحيح .. بمعنى أن تماسك الجماعة قد يكون **نتيجة** لقوة الروح المعنوية بين أعضائها .. ولكن السؤال المطروح .. هل الروح المعنوية وحدها هى العامل المؤثر فى تماسك الجماعات ، أم هناك **عوامل** أخرى تلعب نفس الدور وربما أكثر ؟ ! .. والجواب .. أن هناك عوامل متعددة يسهم كل منها بقدر فى تحقيق تماسك **الجماعة** وقوتها ، ومن تلك العوامل ما يعود الى الجماعة ذاتها ، ومنها ما يعود **لأعضاء** الجماعة أنفسهم ، ومنها ما يرجع الى **ظروف** خارجية تحيط بالجماعة أو تتعلق بالمحيط الاجتماعى الذى تحيا فيه الجماعة .

ويمكن جمع العوامل التى تعود الى الجماعة ذاتها أو الى أعضائها أنفسهم فى عامل واحد يعرفه علماء النفس الاجتماعى بالعامل أو العوامل **الداخلية** .. أى تلك التى تعود الى الجماعة ذاتها بما تضمه من أعضاء ، أما العوامل **الخارجية** فهى تلك التى لا ترجع للجماعة مباشرة وانما ترتبط بما يوجد حولها من ظروف .

ويحدد علماء النفس أهم العوامل أو الظروف **الداخلية** التى تؤثر فى تماسك واستمرار الجماعات فى النقاط الموجزة التالية * :

ــ حجم الجماعة .

= على العدو فى الحروب التحريرية أو النظامية يؤدى الى ارتفاع الروح المعنوية لدى المناضلين والمحاربين ، والنجاح المستمر لعمال مصنع ما فى تحقيق أهداف الانتاج وفق الخطة الموضوعة لها يؤدى الى قوة روحهم المعنوية ، وانتصار فريق لكرة القدم فى سبيل تحقيق بطولة محلية أو دولية مرموقة يدفعه الى مزيد من الانتصارات ويقوى الروح المعنوية لدى أعضائه ... الخ .

(*) سبق أن تناولنا معظم هذه العوامل فى اماكن متفرقة من هذا الفصل يحسن الرجوع اليها .

- شكل التنظيم الثابت للجماعة •
- مجموعة القوانين والتقاليد التى تسير الجماعة •
- القيادة داخل الجماعة •
- وجود قدر من التجانس بين أعضاء الجماعة •
- ايمان الأعضاء بهدف الجماعة •
- قيام الأفراد بأدوارهم داخل الجماعة •
- قدرة الجماعة على اشباع حاجات أعضائها [٣] •

أما أهم العوامل **الخارجية** ، فتتمثل فى العديد من الظروف البيئية المحيطة بالجماعة والتى تعمل على بقاء الجماعة أو تفككها . وباختصار شديد فان بقاء الجماعة واستمرارها يتمثل فى تقبل البيئة المحيطة لها وعدم وجود تصادمات خارجية بين تلك الجماعة وغيرها من القوى الاجتماعية البيئية المحيطة •

والخلاصـــة •• أن الروح المعنوية ليست وحدها المسئولة عن تماسك الجماعة أو عدم تماسكها وانما يشاطرها فى ذلك عوامل عديدة منها ما هو داخلى أى ما يعود للجماعة وأعضائها ، ومنها ما هو خارجى يرجع للبيئة الاجتماعية المحيطة بها •

ويجب ألا يغيب عن الذهن أننا كأفراد نعيش فى جماعات وأن تلك الجمـــاعات تؤثـــر على شخصياتنا بشكل أو بآخر وتلعب معايير الجماعة وقيمها واتجاهاتها دورا بارزا فى هذا الشأن ، الا أنه من الثابت أن تأثير الجماعة على أعضائها لا يتم بصورة **متشـــابهة** بالنسبة لكل الأعضـــاء لأن ذلك التأثير قد يتفاوت حسب الفروق الفردية لدى كل فرد ليس فقط

باعتباره عضوا فى جماعة وانما باعتباره شخصية تؤدى أدوارا ولها علاقاتها داخل الوسط الاجتماعى والثقافى الذى تحيا فيه •

لذلك فان سلوك الفرد داخل الجماعة عامل هام فى احداث **التغيرات** التى تطرأ على الجماعة بما يقوى أو يضعف من تماسكها من خلال العمليات الاجتماعية التى تتم فى اطار من الجماعة والمجتمع كالتعاون والتنافس والصراع والتواؤم وهى كلها عمليات سبق لنا أن تعرضنا لهـا ببعض التفصيل خلال هذا الفصـل •

* * *

المصـــادر والتعليقـــات

١ ــ هذه التعريفات هى للعلماء الآتية أسماؤهم بالترتيب . جوردون البرت G. Alpert ، ريتشارد كرشفيلد R. Crurchifield ، دافيد كرتش D. Krech الفريد ليندسميث A. Lindsmith ، انسـلم شـتراوس A. Straus مظهر شريف M. Sherif ، وأخيرا هاتلى Hatley وهارلى Harley ، للاستزادة انظـر :

الدكتور السيد محمد خيرى . الدكتور محمود الزيادى ــ محاضرات فى علم النفس الاجتماعى ــ مطبعة دار التأليف ــ القاهرة ــ ١٩٧٢ ص ص ٣٩ ــ ٤٠ .

٢ ــ للاستزادة انظر المصـدر السـابق ص ٤٢ .

٣ ــ للاسـتزادة انظـر :

دكتور صلاح الفوال ــ علم الاجتماع .. المفهوم والموضوع والمنهج ــ مصدر سابق ــ ص ص ٨٣ ــ ٩١ .

* * *

المبحث السادس

علم الاجتماع النفسى .. اسهامات ورواد

* هوبهاوس .
* كـــولى .
* وليم توماس .

* * *

عـــلم الاجتمـــاع النفسى :

نتيجة لذيوع المذهب التطورى فى بداية القرن العشرين ، وتأثر العديد من العلوم ومن بينها علم الاجتماع بالعديد من الأسس التى نهض عليها المذهب **التطورى** ، فقد حاول عدد من علماء الاجتماع اكتشاف بعض جوانب التطور التى تلحق بالحياة المجتمعية لاسيما ما تعلق منها بالنظم والثقافة ، وذلك وفقا لنفس الأسس التى تسير تطور الفرد والشخصية * .

ونحن لا نريد هنا أن نسترسل فى هذه النقطة ، ولكننا فقط سوف نشير الى أهم الاسهامات التى ميزت علم الاجتماع النفسى كأحد الاتجاهات المبـــزة فى الدراسات السوسيولوجية المعاصرة ، وذلك من خلال آراء وأفكار

(*) انظر النظريات التطورية التى تفسر « التغير » فى المجتمع والثقافة خلال مؤلفنا عن « علم الاجتماع .. المفهوم والموضوع والمنهج » الســـابق الاشارة اليه ص ص ١٠٦ — ١١٦ .

عدد من علماء الاجتماع . وذلك على النحو التالى :

(١)

هوبهـــاوس * :

حاول L. T. Hobhouse خلال كتابه الشهير الذى ألفه قبل وفاته بخمسة أعوام والمسمى « النمو الاجتماعى Social Development ** » ، حاول هوبهاوس خلال هذا الكتاب تقديم بعض **الصـــيغ** الموضوعية لعملية النمو التى تتطور على أساسها المجتمعات البشرية .

ومن رأى هوبهاوس أن المجتمعات البشرية تنمـــو وفق معايير أربعة ربطها جميعا **بمعايير** التطور البيولوجى ، ومعايير النمو هذه ترتبط بالزيادة فى كل من .. المدى ــ أى الحجم الذى يبلغه المجتمع ــ والكفاءة ، والحرية ، والتبادل .

ولقد شرح تيماشيف المعنى الذى قصده هوبهاوس من بعض تلك المعـــايير فقال ، أن **الكفاءة** أو الكفاية تعنى القدرة على تنسيق الوظائف على نحو يلائم ويحقق أهداف معينة ، أما **الحرية** فانها تعنى النطاق المسموح به للاستقلال فى الفكر والمزاج والتقليد ، أما مفهوم معيار **التبـــادل** فيقصد به تبادلية الخدمات أو تنظيم العلاقات الاجتماعية بطريقة تجعل كل من يسهم فى تقديم خدمات عامة قادرا على المشاركة فى تحقيقها[١] .

(*) هوبهاوس عالم اجتماع وانثربولوجى بريطانى عاش فى المـــدة من ١٨٦٤ حتى ١٩٢٩ .

(**) صدر هذا الكتاب عام ١٩٢٤ ، ويعتبر اهم عمل لهوبهاوس .

(٢)

كـــولى * :

اعتبر C. H. Cooley ، المجتمع كيانا **عضـــويا** ووحدة سوسيولوجية فى آن واحد ، وله فى هذا المجال نظرية عضوية ، يرى تيماشيف أنهـا تعتبر المقدمة الرئيسية لرواد الاتجاه الوظيفى فى النظرية السوسيولوجية المعاصرة ، كما يؤمن كولى ، أن المجتمع **يخضـــع** فى نموه وتطوره لعـــدة عوامل وليس لعامل واحد أو فريد .

كما أكد كولى على **دور** الجماعات الأولية والتفاعل **الاجتماعى** فى نشأة الشخصية ونموها من منطلق أن الذات Self تنمو داخل سياق العلاقات **الاجتماعية** (٢) .

ويعتبر **تحليـــل** كولى للجماعات الأولية Primary Groop — كما يقول تيماشيف — علامة مميزة على طريق نمو العلم الاجتماعى ، ومن أهم ما أورده ذلك التحليل ، ما ذكره كولى عند تحديده للخواص الأساسية للجماعات الأولية أو غير الرسمية Informal Groop وقال أن تلك الخواص تنهض على **أربعة** علاقات أساسية هى .. المواجهة المباشرة والوثيقة ، التعاون الواضح ، الصراع ، وأخيرا حرية التعبير عن الشخصية والعواطف ، كما اعتبر كولى الجماعة الأولية أو غـير الرسمية كالأسرة وجماعات اللعب والجوار ، ظاهرة عامة فى جميع التنظيمات الاجتماعية .

وأوضح كولى أن تلك الجماعات الأولية **قادرة** وذات تأثير مباشر على الأفراد سواء من حيث تشـــكيل طبيعتهم **الانســـانية** أو من حيث

(*) تشارلى كولى عالم اجتماع أمريكى عاش فى الفترة من ١٨٦٤ الى عام **١٩٢٩** .

اكسابهم الخبرات الاجتماعية المبكرة وتقوية الشعور بالوحدة الاجتماعية لديهم . كما أوضح كولى أن الأفراد يكتسبون قيمهم ومثلهم العليا من خلال تلك الجماعات الأولية ، فضلا عن قدرة تلك الجماعات على التدعيم المستمر لتلك **القيم والمثاليات** الاجتماعية العامة التى منها الامتثال للمعايير الاجتماعية والحرية والايمان والرحمة ... الخ .

هذا وتعتبر **معالجة** كولى تلك للجماعات الأولية أو غير الرسمية اضافة هامة وجوهرية لكل من علم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعى على حـد سـواء .

(٣)

وليم توماس * :

تتلخص أبرز اسهامات توماس كأحد رواد علم الاجتماع النفسى فى النقاط الآتية :

(أ) يعتبر توماس أن التنظيم الاجتماعى يتكون من **عـدة** نظـم تتشكل فى مجموعها نسقا من القواعد التى تفرضها الجماعات الأولية على أعضائها .

(ب) يرى أنه يجب أن نحلل كلا من المجتمع والثقافة فى ضوء **الفعل** الاجتماعى باعتباره وحدتهما الأساسية ، كما يرى أن الفعل الاجتماعى يتكون من سلوك الأفراد فى موقف معين . كما أن ذلك الفعل تحدده ظروف موضوعية واتجاهات وقيم اكتسبها **الفاعلون** الاجتماعيون خلال خبراتهم الطويلة فى الحيـــاة .

(*) عاش وليم توماس W. L. Thomas فى الفترة من ١٨٦٣ حتى ١٩٤٧ ، وهو عالم أمريكى **الأصل** .

(ج) اعتبر توماس أن العلاقة بين كل من المجتمع والثقافة والشخصية ، ما هى فى حقيقة الأمر الا علاقة **تبادلية** من حيث التأثير والتأثر ، وشرح ذلك موضحا أن الشخصية تحصل من الثقافة على الجانب الأكبر من اتجاهاتها وقيمها فى اطار من التنظيم الاجتماعى ، لكن الشخصية لا تكتفى بالأخذ فقط ، وانما **تقدم العطاء** أيضا من خلال تأثيرها فى كل من الثقافة والتنظيم الاجتماعى ، حيث تقوم الشخصية المبدعة فى هذا الصدد بدور هام ، وان كان ذلك الدور محدودا بالظروف المحيطة بها •

(د) يرى توماس — متخذا نفس وجهة نظر كولى — أنه ليس هناك عامل **فريد** يمكن أن يحدد وضع المجتمع والثقافة أو ما يحدث لهما من تغيرات ، ويؤكد أن الفروق التى تلاحظ فى السلوك والثقافة ما هى الا نتيجة لاختلاف خبرات الحياة من الجماعات الأولية ، بالاضافة الى وجود علاقة بين تلك الفروق الملاحظة وبين تباين التفسير السيكولوجى لتلك الاختلافات •

(هـ) قدم توماس تعريفا لعلم الاجتماع وقال أنه « علم النظم » ، ورأى أنه من الضرورى أن **نستكمل** علم الاجتماع بعلم النفس الاجتماعى الذى هو فى رأى توماس « علم الاتجاهات أو الجانب الذاتى للثقافة » •

ومع ايمان توماس بأن لعلم الاجتماع موضوعه المتميز الا أنه أكد على الصلات الوثيقة ما بين علم الاجتماع وعلم النفس من خلال علم النفس الاجتماعى مع مطالبته المستمرة بأن تكون **مناهج** كل من علم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعى ، مناهج علمية معتمدة على نفس المنطق الذى تستخدمه العلوم الطبيعية •

(و) أكد توماس على أهمية **تحليل** الظروف التى تحدد أفعال الأفراد فى المواقف الشاملة ، بمعنى أنه يتعين علينا أن نتعرف على التباين

بين الأفراد والمواقف ، بما فى ذلك معرفتنا لما يحدث لهما — أى للأفراد والمواقف — من تغيرات . وأكد توماس كذلك على ضرورة **قياس** مختلف النتائج عن طريق استخدام الجماعات الضابطة حتى نتمكن من فهم درجة التكامل بين مختلف العوامل المؤثرة فى حياة الأفراد [٣] * .

* * *

(*) يوجد رواد آخرون مبرزون لعلم الاجتماع النفسى — كاتجاه فى النظرية السوسيولوجية المعاصرة — ومنهم ماكس فيبر وفلفريدوباريتو ويمكن لمن أراد الاستزادة أن يعود الى مؤلفنا عن — معالم الفكر السوسيولوجى المعاصر — ص ص ٩٩ — ١٠٩ « بارتيو » . ص ص ١١١ — ١٢٠ « ماكس فيبر » . وانظر كذلك الدراسات التى أجراها كل من شيلز وبارسونز على طلبة جامعة هارفرد الأمريكية مستخدمين أسس الاتجاه السوسيومترى وذلك بهدف وضع نظرية سوسيولوجية على أسس سوسيومترية ، انظر :

T. Parsons, R. Bales and Edward Shils, Working Papers in the Theary of Action, Glencoe, III. : The Free Press, 1953.

المصـــادر والتعليقـــات

١ ــ للاستزادة انظـــــر :

Timasheff, op. cit.

وانظر أيضا الترجمة العربية له ــ الطبعة الثانية ــ مرجع سابق ــ ص ١٩٧ .

٢ ــ المصدر السابق ص ٢١٣ .

٣ ــ للاستزادة انظـــــر :

تيماشيف ــ مرجع سابق ــ ص ص ٢٣٢ ــ ٢٣٥ .

وحول تعريفات علم الاجتماع وتحديد مفهومه انظر :

دكتور صلاح الفوال ــ علم الاجتماع .. المفهوم والموضوع والمنهج ــ مرجع سابق ــ ص ص ٩ ــ ٢٩ .

* * *